قضية التوفيق بين الدين والفلسفة
عند القديس ألبرت الكبير

إعداد

أ.د/ غادة عبد الجليل الغنيمي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية- جامعة الأزهر

جمهورية مصر العربية

قضية التوفيق بين الدين والفلسفة عند القديس ألبرت الكبير

غادة عبد الجليل أحمد الغنيمي
قسم العقيدة والفلسفة ،كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: Ghada.alghonamy@azhar.edu.eg

الملخص:
تُعَدُّ قضيةُ التوفيق بين الدين والفلسفة من القضايا المهمة التي شغلت عقولَ المفكرين والفلاسفة قديمًا وحديثًا، وإن كانت ارتبطت هذه القضيةُ بفلسفة العصور الوسطى أكثرَ من غيرها من الفلسفات، فالتوفيق بين الدين والفلسفة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بوجود الدين؛ فمتى وُجد الدينُ مع الفلسفة كانت الحاجةُ إلى التوفيق بينهما. ومن ثَمَّ ظهرت المقولةُ الشهيرة التي تعبر عن العلاقة بين الدين والفلسفة، وهي: "الفلسفة بنت الدين وأم العلوم".
ولقد كانت العلاقةُ بين الدين والفلسفة محورَ الحديث عند فلاسفة العصور الوسطى (المسلمين وغيرهم)، ويأتي في مقدمة فلاسفة المسلمين: ابنُ رشد، الذي عُنِي عنايةً كبيرةً بتلك القضية، فألف كتابه الشهير: "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، مؤكدًا على تلك العلاقة الوثيقة بقوله: «فإنا –معشرَ المسلمين– نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع؛ فإن الحقَّ لا يضادُّ الحقَّ، بل يوافقُه ويشهدُ له».
ولما كانت الفلسفةُ المسيحيةُ وثيقةَ الصلةِ بالفلسفة الإسلامية؛ فقد انتقلت هذه النزعةُ التوفيقيةُ إلى فلاسفة العصور الوسطى المسيحيين، وعلى رأسهم القديس "ألبرت الكبير" الرجل الذي استطاع أن يقيم المنهج الأرسطالي المسيحي، وأن يُسهم في إخراج شخصية مهمة تُمثل جوهر الفلسفة المسيحية، وهي: شخصية "القديس توما الأكويني"، بل استطاع القديس "ألبرت الكبير" أن يؤسس للعلم الطبيعي في العصور الوسطى، وكانت له أفكار متعددة أسهمت في النهضة العلمية الحديثة، كما ظهرت عند القديس "ألبرت الكبير" نزعة توفيقية أخرى، ألا وهي محاولته التوفيق بين أرسطو وأفلاطون، ولقد تجلت فلسفة القديس ألبرت التوفيقية في مظاهر عدة من خلال حديثه عن قضية الألوهية، وقضية قدم العالم وحدوثه، وقضية النفس الإنسانية وغيرها.

الكلمات المفتاحية: قضية التوفيق ، الدين ، الفلسفة الإسلامية ، الفلسفة المسيحية ، القديس ألبرت الكبير

The Issue of Reconciling Religion and Philosophy in the Thought of Saint Albert the Great

Ghada Abdel Jalil Ahmed El-Ghonaimi
Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Alexandria, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Ghada.alghonamy@azhar.edu.eg

Abstract:
The issue of reconciling religion and philosophy is one of the important issues that has preoccupied thinkers and philosophers, both ancient and modern. Although this issue is more closely associated with medieval philosophy than with other philosophies, reconciling religion and philosophy is closely linked to the existence of religion. Whenever religion exists, there is a need to reconcile it with philosophy. Hence, the famous saying that expresses the relationship between religion and philosophy emerged: "Philosophy is the daughter of religion and the mother of sciences." The relationship between religion and philosophy was a central theme among medieval philosophers (Muslims and others). At the forefront of Muslim philosophers: Ibn Rushd, who meant great attention to this issue, wrote his famous book: "The article separated between wisdom and law from communication", stressing that close relationship by saying: "Muslims know definitely that demonstrative consideration does not lead to a violation of what is stated in the Sharia;. Since Christian philosophy was closely linked to Islamic philosophy, this syncretic tendency was passed on to medieval Christian philosophers, most notably Saint Albert the Great, the man who established the Christian Aristotelian approach and contributed to the emergence of an important figure who represents the essence of Christian philosophy: Saint Thomas Aquinas. Indeed, Saint Albert the Great was able to establish natural science in the Middle Ages, and he had numerous ideas that contributed to the modern scientific renaissance. Another syncretic tendency emerged in Saint Albert the Great, namely his attempt to reconcile Aristotle and Plato. Saint Albert's syncretic philosophy manifested itself in several aspects, including his discussion of the issue of divinity, the eternity and origin of the world, the issue of the human soul, and others

Keywords: The issue of syncreticism ، Religion ، Islamic philosophy ، Christian philosophy ، Saint Albert the Great.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنقذنا بنور الوحي من السقوط في دَرَك الضلالة، وأرسل رسله بالهدى ودين الحق إرشادًا ودلالة، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

تعد قضيةُ التوفيق بين الدين والفلسفة من القضايا المهمة التي شغلت عقولَ المفكرين والفلاسفةِ قديمًا وحديثًا، وإن كانت ارتبطت هذه القضية بفلسفة العصور الوسطى أكثر من غيرها من الفلسفات.

وجذور هذه القضية في الفلسفة اليونانية خاصة عند "فيلون" ومدرسة الإسكندرية. والتوفيق بين الدين والفلسفة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بوجود الدين؛ فمتى وُجد الدينُ مع الفلسفة كانت الحاجةُ إلى التوفيق بينهما، ومن ثم ظهرت المقولة الشهيرة التي تعبر عن العلاقة بين الدين والفلسفة، وهي: "الفلسفة بنت الدين وأم العلوم".

ولقد كانت العلاقةُ بين الدين والفلسفة محورَ الحديث عند فلاسفة العصور الوسطى (المسلمين وغيرهم)، ويأتي في مقدمة فلاسفة المسلمين: ابنُ رشد، الذي عُنِي عنايةً كبيرة بتلك القضية، فألف كتابه الشهير: "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، مؤكدًا على تلك العلاقة الوثيقة بقوله: «فإنا –معشرَ المسلمين– نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع؛ فإن الحق لا يضادُّ الحقَّ، بل يوافقه ويشهد له»[1].

(١) ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، دار المعارف، ط: ثالثة، القاهرة ١٩٦٩م، ص: ٣٢ –٣٣.

ولما كانت الفلسفةُ المسيحيةُ وثيقةَ الصلة بالفلسفة الإسلامية؛ انتقلت هذه النزعة التوفيقية إلى فلاسفة العصور الوسطى المسيحيين، وعلى رأسهم: القديس "ألبرت الكبير" –محور هذا البحث– الرجل الذي استطاع أن يقيم المنهج الأرسطالي المسيحي، وأن يسهم في إخراج شخصية مهمة تمثل جوهرَ الفلسفة المسيحية، هو: القديس "توما الأكويني"، بل استطاع القديس "ألبرت الكبير" الأستاذ العالمي أن يؤسس للعلم الطبيعي في العصور الوسطى، وكانت له أفكار متعددة أسهمت في النهضة العلمية الحديثة، رغم أن الرجل لم يأخذ حقه من الشهرة والبحث بالقدر الذي ناله تلميذه "توما الأكويني"، رغم أن تأثير القديس "ألبرت الكبير" كان واضحًا على أبي الفلسفة الحديثة "ديكارت" خاصة في قضية التوفيق بين الدين والفلسفة، كما ظهرت عند القديس "ألبرت الكبير" قضية أخرى، هي التوفيق بين أرسطو وأفلاطون، وإن كان قد سبقه إلى ذلك المعلم الثاني "الفارابي"؛ حيث ألف كتابه الشهير: "في الجمع بين رأي الحكيمين"، ومن هنا يظهر شغف القديس "ألبرت الكبير" بالفلسفة اليونانية، بثوبها العربي، ومن هنا كان هذا البحثُ الموسوم بـ (قضية التوفيق بين الدين والفلسفة عند القديس "ألبرت الكبير").

أولاً: مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية البحث في تقييم محاولة القديس ألبرت الكبير التوفيقية ومدى تأثره بالفلسفة الإسلامية.

كما يجيب البحث على عدة أسئلة، منها:

- من القديس "ألبرت الكبير"؟
- ما موقف القديس "ألبرت الكبير" من التوفيق بين الدين والفلسفة؟
- ما موقف القديس ألبرت من التوفيق بين أرسطو وأفلاطون.

- هل تأثر القديس "ألبرت الكبير" بالفلسفة الإسلامية خاصة، أو تأثر بغيرها من الفلسفات؟

ثانيًا: أهداف البحث.

- الوقوف على الاتجاهات الفلسفية في القرن الثالث عشر الميلادي.
- بيان موقف القديس "ألبرت الكبير" من قضية الألوهية.
- بيان موقف القديس "ألبرت الكبير" من قضية خلق العالم.
- توضيح موقف القديس "ألبرت الكبير" من النفس.
- توضيح أثر القديس ألبرت على تلاميذه من بعده وخاصة القديس توما الأكويني.
- بيان أثر القديس ألبرت في العلوم الطبيعية والعملية من خلال الوقوف على مؤلفاته في هذه المجالات وتأثيرها على فلاسفة عصر النهضة.

ثالثًا: أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في عدة أمور، منها:

- تعلقُه بقضية مهمة شغلت عقول الفلاسفة والمتكلمين واللاهوتيين عبر العصور، هي: قضية التوفيق بين الدين والفلسفة.
- إبرازُ شخصية القديس "ألبرت الكبير"، هذا الرجل الذي لم ينل حقَّه في الدراسة والبحث.
- الوقوف على إسهامات القديس "ألبرت الكبير"، ودوره في إبراز المدرسة الأرسطية في الفلسفة المسيحية.
- بيان مدى تأثير الفلسفة الإسلامية في الفلسفة المسيحية.
- التعمق في فلسفة العصور الوسطى، خاصة الفلسفة المسيحية المدرسية وشخصية القديس "ألبرت الكبير" التي تعد الدراساتُ حوله قليلةً، بل نادرةً.

رابعًا: منهجية البحث.

اتبعت في هذا البحث المنهجَ التحليليَّ، حيث قمت باستقراء آراء القديس "ألبرت الكبير" وتحليلها، ثم المقارنة بينه وبين فلاسفة الإسلام، خاصة ابن سينا وابن رشد؛ للوقوف على مدى التأثير والتأثر.

خامسًا: خطة البحث.

يشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشمل: أهمية البحث، وإشكالية الدراسة، وأهدافها، ومنهجية البحث، وخطته.

التمهيد: عنوانه: الاتجاهات الفلسفية في القرن الثالث عشر الميلادي.

المبحث الأول: عنوانه: التعريف بالقديس "ألبرت الكبير" ومنهجه الفلسفي.

ويشمل:

أولاً: التعريف بالقديس ألبرت (حياته، ومؤلفاته، وأساتذته، وتلاميذه).

ثانيًا: منهجه الفلسفي.

المبحث الثاني: عنوانه: فلسفة التوفيق عند القديس "ألبرت الكبير".

أولاً: التوفيق بين الدين والفلسفة.

ثانيًا: التوفيق بين أرسطو وأفلاطون.

المبحث الثالث: عنوانه: مظاهر التوفيق بين الدين والفلسفة عند القديس "ألبرت الكبير".

ويشمل:

أولاً: موقف القديس "ألبرت الكبير" من الألوهية.

ثانيًا: موقف القديس "ألبرت الكبير" من قضية خلق العالم.

ثالثًا: موقف القديس "ألبرت الكبير" من النفس.

وأخيرًا: الخاتمة. وتشمل: أهم النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات.

وقد ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

واللهَ أسأل التوفيقَ والسدادَ، وأن ينال بحثي هذا استحسانَ أساتذتي الأكارم، وأن يكون محلَّ استفادة للباحثين المهتمين بالدراسات الفلسفية.

التمهيد

الاتجاهات الفلسفية في القرن الثالث عشر الميلادي

يُعد القرنُ الثالثَ عَشَرَ الميلاديُّ أبهى قرون العصر الوسيط؛ لأنه يمثل ذروةَ ما وصل إليه الفكرُ في العصور الوسطى المسيحية، حيث تقدمت الفلسفة وعلم اللاهوت بصورة واضحة، ويرجع ذلك إلى عاملين رئسين، هما:

- نشأة العديد من الجامعات، أهمها: السربون ١٢٥٣م.
- انتشار الكتب المنقولة من العربية واليونانية، وبخاصة كتب أرسطو وشراحه(١).

ومن أبرز مظاهر الحياة العقلية في القرن الثالث عشر الميلادي: النزاع حول أرسطو؛ فقد أثارت كتبه ضجة هائلة؛ لما تضمنته من آراء معارضة للدين المسيحي، وأول ما قامت الضجة قامت في باريس، وترتب على ذلك: إنكار المجمع الكنسي ١٢١٠م كتب أرسطو وشروحها في الفلسفة الطبيعية، وحظر تدريسها، ثم أصدرت لائحة جامعة باريس ١٢١٥م قرارًا تنص فيه على الاستمرار في تدريس منطق أرسطو، وتُتيح تدريس الأخلاق، ولكنها تؤيد تحريم كتب أرسطو الطبيعية وشروحها، وتُحرم تدريس كتاب: "ما بعد الطبيعة" وشروحه. وكان هذا التحريمُ خاصًّا بجامعة باريس،

(١) ينظر: أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم –بيروت –لبنان، طبعة ١٩٧٩م، ص: ١١٩–١٢٠، د. محمد جلال شرف: مذاكرات في الفلسفة المسيحية، ومشكلة التوفيق بين العقل والنقل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: أولى، ١٩٤٩م، ص: ٢٣٦.

أما جامعة "تولوز" التي أنشئت ١٢٢٩م فقد أجازت كتب أرسطو المحرمة في باريس؛ كوسيلة لجذب الطلاب إليها، ودليلٍ على تطور أفكارها(١).

ونستطيع أن نقول: إن الاتجاهات الفلسفية التي ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي تكاد ترجع إلى ذلك الموقف الذي اتخذته تلك المدارسُ والجامعات تجاه تلك الأفكار التي بدأت تغزو العالم الأوربي، وبخاصة الأفكار والمواقف تجاه أرسطو وشراحه المسلمين، على وجه الخصوص: ابن سينا وابن رشد.

وانقسمت هذه الاتجاهات إلى أربعة اتجاهات أو مدارس رئيسة، على النحو الآتي:

١- المدرسة الأوغسطنية السينوية:

وفلاسفة هذه الاتجاه يأخذون عن ابن سينا فكرة إشراق العقل الفعال، إلا أنهم يضيفون لله -تعالى- المعاني التي يضيفها ابن سينا لعقل فلك القمر، كذلك يأخذون عن أرسطو نظرية "الهيولى والصورة"(٢)، ولكنهم

(١) ينظر أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١٢٣، محمد جلال شرف: مذاكرات في الفلسفة المسيحية، مرجع سابق، ص: ١٣٧.

(٢) الهيولى والصورة: الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. واصطلاحًا: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، مَحَلٌّ للصورتين الجسمية والنوعية، وصورة الشيء ما يحصل به الشيء بالفعل، فالصورة الجسمية هي الجوهر الممتد في الأبعاد كلها، المدرك في بادئ النظر بالحس، والصورة النوعية: هي جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه. ينظر: الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، سنة ١٩٨٣م، ص ٢٥٧، ١٣٥-١٣٦، فالفرق بين الصورة والهيولى هو أن الهيولى هي: الحيز المكاني الذي تتجلى فيه الصورة، أو المادة الأولى، وهي واحدة لجميع الموجودات، =

يتصورون "الهيولى" ذات وجود خاص مستقل عن الصورة النوعية، على ما تصورتها الأفلاطونية الجديدة، ويجعلون "التجوهر" من هيولى وصورة شاملاً للنفوس الإنسانية والملائكة أيضًا. ويكثرون الصور في الأجسام المركبة، ومنها الإنسان، على ما ذهب إليه أفلاطون في محاورة "طماوس"؛ حيث جعل للإنسان ثلاث أنفُس، كما أنهم ينبذون فكرة صدور الموجودات عن الله صدورًا ضروريًّا قديمًا، كما عرضها ابن سينا. وأهم من يمثل هذا الاتجاه: أتباعُ القديس فرنسيس الأسيزي[١] المتأثرون بالقديس أوغسطين[٢]، وعلى رأسهم جيوم دوفرني[٣]، والقديس بونافنتورا[٤].

=

أما الصورة فهي: المبدأ الأول الذي يُعين الهيولى ويعطيها ماهية خاصة، ويجعلها شيئًا واحدًا، وهو ما نتعقله في الأجسام. ينظر: عبده الحلو: الوافي في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، ط: أولى: سنة ١٩٩١م، ص ٤٧.

(١) القديس فرنسيس: ولد القديس فرنسيس في سنة ١١٨١م في مدينة أسيزي بإيطاليا، وكان شغوفًا بالفقراء؛ لذلك أسس رهبنة تعتمد على الفقر المطلق وتبشر بالمحبة والسلام، توفي عام ١٢٢٦م وأعلنت قداسته عام ١٢٢٨م. ينظر: موسوعة بريتانيكا: Encyclopedia Britannica, Britannica.com .

(٢) القديس أوغسطين: (٣٥٤-٤٣٠م) أعظم آباء الكنيسة، تأثر بمختلف التيارات الفكرية السائدة في عصره، وانتهى للمسيحية، من أهم كتبه: الاعترافات. ينظر: د. حسين سعيد علي: الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك، ط: أولى، سنة ١٩٧٢م، ص ١٥٦.

(٣) جيوم دوفرني: (١١٨٠م-١٢٤٩م) ولد في منطقة أوفيرن في فرنسا، وعين أسقفًا في باريس منذ عام ١٢٢٨م وحتى وفاته، من أهم مؤلفاته اللاهوتية: عن الكون، وعن النفس من منظور مسيحي وفلسفي. موسوعة استان فورد للفلسفة: https://plato.stanford.edu/entries/guillaume-auvergne.

(٤) القديس بونافنتورا: جوفاني بونافنتورا (١٢٢١م-١٢٧٤م) فيلسوف ولاهوتي إيطالي =

٢- المدرسة الأرسطوطالية المسيحية:

وتميزت هذه المدرسة بالفصل بين الفلسفة واللاهوت، وتصحيح أرسطو بالاستناد إلى مبادئه الحقيقية، وتكميله بالأفلاطونية الجديدة، والممثلون لهذا الاتجاه أو المدرسة هم: أتباعُ القديس دومنيك(١)، المتأثرون بفلسفة أرسطو، وعلى رأسهم القديس: "ألبرت الكبير الذي يعد الأرسطي الأول بين فلاسفة ذلك العصر، وتبعه في ذلك تلميذُه القديس "توما الأكويني"(٢).

=

حصل على إجازة في اللاهوت عام ١٢٤٨م وبدأ يُدرس في جامعة باريس حتى شغل الكرسي المخصص للفرنسسكانيين، من مؤلفاته: الشروح على الأحكام. ينظر: روني إيلي الفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج ١، قدم له الرئيس شارل حلو، مراجعة د. جورج نخل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: أولى، سنة ١٩٩٢م، ص ٢٧٦-٢٨٢.

(١) القديس دومنيك (١١٧٠-١٢٢١م) لاهوتي أسباني مؤسس الرهبنة الدومينيكية عام ١٢١٦م، ولد في مدينة كاستيليا، لقب بمبشر الحقيقة. ينظر: الموقع الرسمي لرهبنة الدومنيكان:

https://www.op.org.

(٢) توما الأكويني: (١٢٢٥-١٢٧٤م) ولد في روكاسيكا في جنوب إيطاليا بالقرب من مدينة نابلي دخل الطريقة الدومينيكية عام ١٢٤٤م، وحصل على درجة الأستاذية وهو في الحادية والثلاثين من عمره، ويُعد أشهر تلاميذ القديس ألبرت الكبير من مؤلفاته: الخلاصة اللاهوتية، ومجموعة الردود على الخوارج. ينظر: د. غادة الغنيمي، العقائد الإيمانية ومصادرها عند القديس توما الأكويني ومدى تأثره بالفكر الإسلامي الكلامي والفلسفي، إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، ط: أولى، ٢٠٢٥م، ص ١٠٧-١٧٩.

٣- المدرسة الرشدية اللاتينية:

وأهم ما يميز هذه المدرسة: عدم اهتمامها بالتوفيق بين الدين والفلسفة، وابتعادها عن المسيحية إلى الحد الذي جعل البعض يعدها مدرسةً واتجاهًا مبتدعًا خارجًا عن الدين، فضلاً عن إعلان أصحاب هذا الاتجاه أنهم أرسطوطاليين خُلَّص، واعتبارهم تأويلَ ابنِ رشد لمذهب أرسطو أصدقَ صورةٍ له، وأكملَ مظهرٍ للعقل.

وأهم من يمثل هذا الاتجاه هو سيجردي برايان[١]، زعيم الرشدية اللاتينية.

٤- مدرسة أكسفورد:

كانت هذه المدرسةُ النواةَ للمذهب التجريبي في العصر الحديث، وقد تأثرت بالفلسفة العربية من الناحية العلمية، خصوصًا في الفلك والرياضيات؛ حيث كانت ترى هذه المدرسة أن المثل الأعلى للعلم يتمثل في كتاب: "المناظر" للحسن بن الهيثم، أكثر منه في طبيعيات أرسطو، التي هي أقرب للفلسفة منها إلى الرياضيات، وأشهر ممثلي هذه المدرسة: روجر بيكون[٢] [٣].

---

(١) سيجر دي برايان: (١٢٣٥-١٢٨٢م) فيلسوف ولاهوتي بلجيكي من أبرز ممثلي الحركة الرشدية اللاتينية درس الفنون في جامعة باريس سنة ١٢٦٦م من مؤلفاته: النفس العاقلة وغيرها. ينظر: رونى إيلي الفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج ١، ص٥٨٩-٥٩٠.

(٢) روجر بيكون: (١٢١٤-١٢٩٢م) فيلسوف إنجليزي، ولد في الشيسر بإنجلترا، وتتلمذ في أكسفورد، وانتظم في سلك رهبنة الفرنسيسكان سنة ١٢٥١م، صنف في الطب والموسيقى والبصريات والفلسفة والنحو، من مؤلفاته: الكتاب الأكبر والأصغر. ينظر: مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الفكر الإنساني، تصدير إبراهيم مدكور، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٤م، ص ١١٧١.

(٣) اعتمدت الباحثة في عرض هذه القضية على عدة مراجع، منها: أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١٢٠ -١٢٥. ود. =

وانطلاقًا من هذه المدرسة شهد القرنُ الثالثَ عَشَرَ الميلاديُّ إرهاصاتِ الاتجاهات الرئيسة في الفلسفة الحديثة، ألا وهي: الاتجاه التجريبي والعقلي والمثالي.

ومن خلال هذا العرض السابق لأهم الاتجاهات الفلسفة في القرن الثالث عشر الميلادي؛ يتضح أن من أهم القضايا التي دار حولها الخلاف في العصور الوسطى: قضية التوفيق بين الدين والفلسفة؛ فهناك اتجاهات اهتمت بتلك القضية، وعدَّت الدين والفلسفة متطابقين، ومنهم من فصل بين الفلسفة واللاهوت، ومنهم من تعمد عدم الخوض في هذه القضية وابتعد عنها بشكل كامل؛ مما دفع البعض إلى رميه بالابتداع والخروج عن الدين.

هذه أهم الاتجاهات الفلسفية في القرن الثالث عشر الميلادي.

=

محمد جلال شرف: مذكرات في الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: ٢٣٨ –٢٤٠. ود. ميلاد ذكي غالي: دراسات في الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى –الفلسفة المسيحية، دون ط، ت. ص: ١٦٨ –١٦٩. وأ.م جواشون: فلسفة ابن سينا وأثرها في أوربة خلال القرون الوسطى. نقله إلى العربية: أ. رمضان لاوند، دار العلم للملايين، ط: عاشرة، سنة ١٩٥٠م. ص: ١٠٩. ود. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوربا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط: أولى، سنة ٢٠٠٤م، ص: ٣٢.

المبحث الأول
التعريف بالقديس "ألبرت الكبير" ومنهجه الفلسفي
ويشمل

أولاً: التعريف بالقديس "ألبرت الكبير".

(حياته – مؤلفاته – أساتذته – وتلاميذه).

ثانيًا: منهجه الفلسفي.

المبحث الأول

التعريف بالقديس "ألبرت الكبير" ومنهجه الفلسفي

أولاً: التعريف بالقديس "ألبرت الكبير".

١- حياته:

القديس ألبرت الكبير" (Saint Albert Garand) ويطلق عليه – أيضًا– ألبير الكولوني (Albert Cologne) نسبة إلى مدينة "كولونيا". ولد في "بافاريا" ١٢٠٦م، وهو ابن "الكونت دي بولستيد". ولما بلغ السادسةَ عَشْرَةَ قصد إلى جامعة "بولوفيا" في "إيطاليا"، ثم جامعة "بادوفا"، وفي "بادوفا" انضم لطائفة الدومينيكان عام ١٢٢٣م، وقد درس اللاهوت من عام ١٢٢٨م إلى عام ١٢٤٠م في العديد من أديرة ألمانيا، وفي عام ١٢٤٠م أُرسِل إلى باريس ليتابع دراسة اللاهوت في جامعتها، واختتم الدراسة عام ١٢٤٤م، فأصبح عضوًا في هيئة التدريس بكلية اللاهوت في العام نفسه، واستمر في منصبه في الفترة بين عامي ١٢٤٢ –١٢٤٨م.

وبعد خمس سنوات قضاها في جامعة باريس حصل على لقب "أستاذ اللاهوت"، وشرع يُعلم بجامعتها على أساس كتب أرسطو، وكانت ما تزال محرمة رسميًّا، فكان عمله ذا جَرْأةٍ كبيرة، ولكنه كان عملًا ضروريًّا؛ لشدة الحاجة إليه حينذاك، وقد أصاب نجاحًا عظيمًا، وفاز بشهرة أوربية واسعة[١].

(١) ينظر: أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١١، د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم، بيروت –لبنان. ط: الثالثة ١٩٧٩م، ص: ١٢٩٧م، معجم أعلام الفكر الإنساني، تصدير: د. إبراهيم مدكور، ج: ١، مرجع سابق، ص: ٦٦١، د. زينب الخضري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر =

ثم عاد إلى كولونيا عام ١٢٤٨م ليؤسس مركزًا دراسيًّا عامًّا للدومينيكان، وقد استغرق في هذه المهمة من عام ١٢٤٨م إلى عام ١٢٥٤م. ودرّس في كولونيا فيما بين ١٢٥٧م و١٢٦٠م. أما الثمانية عشرة عامًا الأخرى من حياته فكانت حافلةً بالتدريس، وبالرحلات، والمهمات الدبلوماسية، وبالأبحاث العملية، والتأليف، وفي عام ١٢٧٧م –وهو العام الذي صدر فيه التحريم الشهير ضد بعض قضايا الفلسفة الأرسطية والرشدية– ذهب "ألبرت" إلى باريس ليدافع عن تلميذه الأشهر: "توما الأكويني"، وقد كانت أفكاره قد أُدرِجت ضمن القضايا المحرمة في هذا العام، ضاربًا المثل لما ينبغي أن تكون عليه الأستاذية، من حب، وإخلاص، ومن دفاع عن فكر التلاميذ، ثم عاد إلى "كولونيا"، وتوفي بها عام ١٢٨٠م[١].

وبعد وفاته كانت كتبُه بمنزلة مؤلفات أرسطو وابن سينا وابن رشد؛ يُستشهَد بها مرجعًا للعلم والفلسفة. ولم يمض على وفاته ربع قرن حتى لُقِّب بـ "الأكبر"، وهو المفكر الوحيد في القرون الوسطى الذي حظي بهذا اللقب[٢].

=

والتوزيع –القاهرة، ط ١٩٨٣م، ص: ٢٠.

(١) ينظر: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: ٢٠ –٢١.

(٢) ينظر: أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١٦١ –١٦٢. ومعجم أعلام الفكر الإنساني، مرجع سابق، ص: ٦٦٢. ود. جمال عفيفي: أضواء على الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مطبعة الرشوان، ط ثالثة ٢٠٠٩م، ص: ١٣٦.

٢- مؤلفات القديس "ألبرت الكبير":

يُعد القديس "ألبرت الكبير" أهم الشرَّاح للفلسفة المشائية والفلسفة اليونانية بثوبها العربي؛ فقد استطاع شرح الفلسفة الأرسطالية دون التمسك بحرفية النص، فتميزت طريقة عرضه للنص الفلسفي عن غيره من الفلاسفة الشُّرَّاح للتراث اليوناني.

وهذا ما أشار إليه الدكتور/ عبد الرحمن بدوي؛ حيث يقول: «إن "ألبرت الكبير" كان عمله الرئيس: شرح الفلسفة الأرسطالية، ولم يشرحها على طريقة دراسة النص والشرح عليه، إنما على طريقة العرض العام للفلسفة المشائية، دون التقيد بحرفية النص، ودون سيره على الترتيب الذي توخاه "أرسطو" في النص الأصلي»(١).

ولعل طريقة "ألبرت الكبير" -في تناوله للفلسفة المشائية- أقرب ما تكون إلى طريقة شرح الشيخ الرئيس ابن سينا، بل بعينها، وهذا ما أكده الدكتور/ عبد الرحمن بدوي، حيث قال: «إن طريقة "ألبرت الكبير" هي بعينها طريقة ابن سينا، في عرضه للفلسفة المشائية؛ فإن كتب ابن سينا ورسائله هي في الواقع عرض للمشائية، دون تقيّد بنص معلوم يتابعه المفسر عبارة عبارة»(٢).

ولقد عرض القديس "ألبرت الكبير" آراء أرسطو في مؤلفاته عرضًا أمينًا دقيقًا، وجاء عرضُه عبارةً عن تمثيل وتكميل، على طريقة ابن سينا في كتابه: "الشفاء"، لا شرحًا حرفيًّا على طريقة ابن رشد(٣).

(١) د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: ١٢٩ -١٣٠.
(٢) د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: ١٣٥.
(٣) أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص: ١٦٢ -١٦٣.

ولقد جمع "ألبرت الكبير" الفلسفة واللاهوت والعلم الطبيعي في مؤلفاته؛ نظرًا لسعة اطلاعه وخبرته.

فشملت مؤلفاته: شروحًا لأرسطو، وشروحًا لبعض الكتب المنسوبة – خطأً– لأرسطو، مثل: "في النباتات"، وكتاب "العلل"، وشملت كذلك شروحًا لأعمال "ديونيسيوس"[١]، وأخيرًا: شملت كتبه اللاهوتية[٢].

ونستطيع أن نقسم كتب "ألبرت الكبير" إلى ثلاث مجموعات:

الكتب اللاهوتية، وأهمها:

١- شرح كتاب "الأحكام" لبيير لومبار[٣].

٢- شروح كتب العهد القديم والجديد.

٣- مجموعة لاهوتية.

٤- مجموعة في المخلوقات.

٥- شروح على كتب "ديونيسيوس".

٦- كما وضع عدة تصانيف في الوعظ والإرشاد.

---

(١) ديونيسيوس: كاتب مسيحي عاش في نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي، كتب العديد من المؤلفات ونسبها إلى القديس ديونيسيوس الأريوباعي مما جعل كتاباته تنسب خطأ إلى القرن الأول، من أهم مؤلفاته: الأسماء الإلهية واللاهوت الصوفي، موسوعة استان فورد للفلسفة

https://plato.stanford.edu/entries/pseudo-dionysius.

(٢) أ. يوسف كرم، مرجع سابق، ص: ١٦٢. وقارن: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: ٢١.

(٣) بيير لومبار: (١١٠٠-١١٦٠م) لاهوتي إيطالي، ولد في لومبارديا شمال إيطاليا، أشهر ألقابه: معلم الآراء، من أشهر مؤلفاته: الكتب الأربعة للآراء، تناول فيها جميع موضوعات اللاهوت المسيحي. ينظر: موسوعة استان فورد للفلسفة:

https://plato.stanford.edu.

الكتب الفلسفية، وأهمها:

١- شروح على أرسطو في المنطق، والطبيعيات، وما بعد الطبيعة.

٢- الأخلاق النيقوماخية.

٣- السياسية.

٤- شروح على كتاب "العلل"، وهو كتاب كان يعزى إلى أرسطو، لكن "ألبرت الكبير" كان يعلم أنه منحول.

٥- رسالة في وحدة العقل؛ ردًّا على ابن رشد، وضعها بناءً على طلب من البابا سنة ١٢٥٦م.

الكتب العلمية، أهمها:

١- كتاب النباتات.

٢- كتاب الحيوان.

٣- كتاب المعادن.

٤- كتاب الآثار العلوية.

ولقد تتضمن الإنتاج الضخم الذي تركه "ألبرت الكبير" واحدًا وعشرين مجلدًا من القطع الكبير، وربما هو إنتاج لم يدرس بالمقدار الذي يستحقه، فلقد اعتاد مؤخرو التومائية أن يعدوا ذلك الإنتاج مشروعًا أو مخططًا للتوليفة التي حققها القديس "توما الأكويني"، وهذا -مما لا شك فيه- قِصرُ نظرٍ؛ لأن فكر "ألبرت الكبير" كان يحمل من البذور أكثر مما أنبتته التومائية، وحتى ما بعد التومائية، فتأثير القديس "ألبرت الكبير" امتد إلى الصوفيين الرينانيين[١] ومع ذلك نستطيع أن نقول: إن القديس "ألبرت

(١) الصوفيون الرينانيون: هم مجموعة من المتصوفة المسيحيين عاشوا في القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، وتركوا أثرًا عميقًا في الرُوحانية الغربية، خاصة في التصوف اللاهوتي والفلسفي. ينظر: موسوعة استان فورد الفلسفية:

=

الكبير" قد أتاح وأعد مؤلفات "توما الأكويني"[1].

٣- **أساتذة القديس ألبرت الكبير.**

لم يحتفظ لنا التاريخ بأسماء علماء تلقى عنهم القديس ألبرت الكبير مباشرة، إلا أن هناك من الفلاسفة من تأثر بهم، وتتلمذ على أيديهم؛ من خلال مؤلفاتهم وآثارهم، وأهمهم:

- أفلاطون.
- أرسطو.
- ابن سينا.
- ابن رشد.

***- أفلاطون:**

تأثر القديس ألبرت الكبير بأفلاطون في كثير من آرائه؛ حيث درس هذه الآراء، ووقف على حقيقتها، ثم حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو، ويظهر ذلك في حديثه عن تعريف النفس، والحديث عن روحية النفس ومن ثم خلودها.

*- أرسطو:

استطاع القديس ألبرت الكبير أن يقف على أعمال أرسطو الحقيقية، ويميز بينها وبين الأعمال المنحولة، ككتاب "العلل"؛ حيث كان ألبرت يرى أن كتاب العلل قد جمعه داوود اليهودي من كتب أرسطو وابن سينا، ولا يصل إلى هذه الدقة والتمييز بين الأعمال الحقيقية والأعمال المنحولة

=

.https://plato.stanford.edu

(١) جونو، برجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، ترجمة: د. علي زيعور، ود. علي مقلد، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ١٩٩٣م، ص: ١٢٠.

إلا من درس واستوعب، وبالتالي نجد أن القديس ألبرت قد تتلمذ على يد أرسطو من خلال مؤلفاته المتنوعة، فعَرَفه حقَّ المعرفه، سواء من خلال مؤلفاته اليونانية مباشرة أو من خلال شراحه من المسلمين.

ولقد تابع أرسطو في كل شيء، فسار على نهجه، وبحث في معظم مسائله.

وهذا ما أكده كل من هنري توماس ودنالي توماس، حيث قالا: «لقد سار القديس ألبرت على نهج أرسطو، فبحث في السماء عن أبراجها وفي المياه عن أسماكها، وفي الهواء عن طيوره، ولكنه يخالف أرسطو فلا يدرس الطبيعة البشرية للبحث عن الحق والباطل، فهذا عنده لا داعي له؛ لأنه ولد مسيحيًّا، وتقبل تعاليم المسيح بلا جدال»(١).

فقد تأثر القديس ألبرت بأرسطو في كثير من القضايا والمسائل الفلسفية وفي مقدمتها أدلته على إثبات وجود الله وخاصة دليل الحركة، وإن قدمه بصورة تتناسب مع عقيدته المسيحية.

***- ابن سينا:**

تأثر القديس ألبرت الكبير بابن سينا تأثرًا بالغًا، وليس أدلَّ على ذلك من اتباعه منهج ابن سينا في شرحه لأرسطو؛ حيث جاء منهجُه مخالفًا لمنهج ابن رشد -كشارح لأرسطو- ومطابقًا وموافقًا لمنهج ابن سينا في شرحه لأرسطو. كما تابعه في كثير من القضايا الفلسفية، وفي مقدمتها أدلتُه على إثبات وجود الله، وخاصة دليل العلية، فضلاً عن تأثره به في حديثه عن قضية قدم العالم وحدوثه.

(١) هنري توماس، دانالي توماس: المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة: عثمان نويه، مكتبة الانجلو المصرية، ط ١٩٧٧٠م، ص ٩٧.

ويؤكد ذلك "أرنست رنيان"[١]؛ حيث يقول: «إن ألبرت مدين لابن سينا في كل شيء»[٢].

***- ابن رشد:**

أما ابن رشد فقد قرأه ألبرت من خلال كتابات "سيجر دي بريان"، وكان محل نقد لاذع من ألبرت؛ حيث ألف كتابًا للرد على الرشدية اللاتينية، سماه: "في وحدة العقل ردًّا على ابن رشد". ولعل الحملاتِ التي وجهت إلى ابن رشد من المدرسة الدومينيكية؛ كانت رغبةً في الوصول إلى فلسفة أرسطو الخالصة، وهذا ما أكد عليه رينان، حيث يقول: «إن الحملات على ابن رشد مرتبطة -لدى القديس توما، بل في المدرسة الدومينيكية جميعًا- بالرغبة في إنقاذ المشائية الخالصة إلى حد ما، وذلك بالتضحية بالشراح، لا سيما العرب، ومن ثم كان ذلك الانتباه إلى بيان اعتقاد أرسطو بخلود النفس، وبإيمانه بعقائد الدين الطبيعي»[٣].

ولقد تأثر القديس ألبرت بالشارح ابن رشد في كثير من القضايا الفلسفية، وفي مقدمتها حديثه عن قضية قدم العالم وحدوثه، فضلاً عن حديثه عن اتصال النفس بالبدن وغيرها من المسائل الفلسفية.

هؤلاء أهم أساتذة القديس ألبرت الكبير حسبما أعتقد.

---

(١) إرنست رينان:(١٨٢٣-١٨٩٣م) مؤرخ وناقد فرنسي، من أوائل المستشرقين، له العديد من المؤلفات منها: ابن رشد والرشدية، تاريخ الأديان. ينظر: الموسوعة الثقافية، مرجع سابق، ص ٥٠٦.

(٢) إرنست رينان: ابن رشد والرشدية، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية -القاهرة، ط: أولى ١٩٥٧م، ص ٢٤٨.

(٣) إرنست رينان: ابن رشد والرشدية، مرجع سابق، ص: ٢٥٦.

٤-تلاميذ القديس ألبرت الكبير:

أما أهم تلاميذ القديس ألبرت الكبير فقد انقسموا إلى فريقين:

فريق مضى في الأفلاطونية الجديدة، وهم الجرمان.

وفريق مضى في الأرسطيوطالية، وعلى رأسهم: القديس توما الأكويني. وهذه الحركة الثانية هي أثره الخاص؛ فقد كانت الأفلاطونية شائعةً من قبل، في حين كانت الأرسطوطالية موضعَ إنكار، فصارت -بإقدامه ونفوذه- موضعَ نظرٍ وتقديرٍ(١).

ولا شك أن أشهر تلاميذ القديس ألبرت -على الإطلاق- هو القديس توما الأكويني(٢) الذي عبر عما أراد أستاذُه أصدقَ تعبير، وهو وإن كان تلميذًا فقد فاق أستاذه، ورغم هذا فإنه ما زال ينظر إلى القديس ألبرت على أنه قد مهّد الطريق لتلميذه توما.

«ولقد صرح القديس ألبرت بأن توما أكثر تلاميذه عمقًا في العلم، حيث يقول عنه: "إن وراء هذه القبة الضخمة -يقصد جبهته- كانت الأفكار تتبلور وتتحلل وتستوعب وتهضم في سكون، وقد تنبأ المعلم بأنه إذا ما حان الوقت لتوما أن يتكلم فإن العالم كله سوف ينصت له»(٣).

---

(١) أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، راجع: د. أحمد أمين، مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط: ثانية، القاهرة ١٩٦٨م، ص: ٢٣٢.

(٣) هنري توماس: أعلام الفلاسفة وكيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم: د. زكي نجيب محمود، الناشر: دار النهضة العربية -القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر -القاهرة، ط: أولى ١٩٦٤م، ص: ١٨٧ بتصرف.

ولقد بلغ من محبة القديس ألبرت للقديس توما الأكويني أنه دافع عنه بكل ما أوتي من قوة، وذلك عندما اشتدت الحملة على القديس توما بسبب الأرسطوطالية، فقصد القديس ألبرت باريس من كولونيا، بالرغم من بُعد المسافة وتقدم السن؛ ليدافع عن تلميذه العظيم(١).

وهنا يظهر مدى حبه له، وشعوره بقوته العقلية وعقله المستنير.

وإذا كان القديس توما الأكويني هو أشهر وأهم تلاميذ القديس ألبرت الكبير؛ فإن فلاسفة عصر النهضة لا يَعدُّونه من تلاميذ القديس ألبرت؛ حيث كان تفكير القديس ألبرت أكثر حرية من القديس توما، فضلاً عن اهتمامه بالعلم الطبيعي الذي كان محطَّ اهتمام ورعاية من فلاسفة عصر النهضة.

ثانيًا: منهج القديس ألبرت الفلسفي:

لقد صرح القديس ألبرت الكبير بهدفه من الشرح والتأليف في مفتتح شرحه على طبيعيات أرسطو؛ حيث قال: «إن غرضنا أن نُرضِيَ رهبانَنا بقدر استطاعتنا، وهم يطلبون إلينا منذ سنوات أن نضع لهم كتابًا في الطبيعة يجدون فيه دراسة وافية للعلوم الطبيعية، ويعطيهم مفتاحًا لفهم كتب أرسطو»(٢).

فكان هدف القديس ألبرت هو ايصال الثروات التي جمعها الفلاسفة اليونان والعرب واليهود إلى اللاتيين، خاصة في العلوم الطبيعية(٣).

---

(١) أ. يوسف كرم، مرجع سابق، ص: ١٦٨ بتصرف.

(٢) أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١٦٣. قارن: د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوربا، مرجع سابق، ص: ٤١.

(٣) جونو وبوجوان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية، مرجع سابق، ص ١٢٠.

ثم يوضح منهجه الفلسفي، فيقول: «أما طريقتنا فهي أننا سنتتبع ترتيبَ كتب أرسطو وآراءه، ونقول كل ما يبدو لنا ضروريًّا لتفسيرها والتدليل عليها، ولكن دون إيراد أقواله. ثم يستطرد لتوضيح الشكوك، وتفصيل ما أجمله الفيلسوف، فأغمض فكره على كثيرين.

ويتبين من عناوين الفصول أن كل الفصل ورد في كتب أرسطو، أو كان استطرادًا منا. ونحن –إذ نتبع هذه الطريقة– نصنف كتبًا بعدد كتب أرسطو، وبنفس أسمائها، ونضيف أجزاء إلى الكتب التي تركناها ناقصة، ونضيف كتبًا برأسها لم يدونها، أو دوّنها ولم تصل إلينا»(١).

ومن خلال النصوص السابقة يتضح لنا أن ألبرت الكبير قد حدد هدفه ومنهجه الفلسفي، الذي يتمثل فيما يلي:

- شرح كتب أرسطو شرحًا وافيًا، وذلك بتتبع آرائه.
- الالتزام بأسماء الكتب وعناوين الفصول التي اشتملت عليها مؤلفات أرسطو.
- إظهار أرسطو بصورته اليونانية، بعيدًا عن التأثير الرشدي اللاتيني.
- عدم إفراد كتب يوضح فيها ألبرت الكبير فلسفته الحقيقية.
- حاول ألبرت تحقيق غرضه الأساسي من الاستفادة من أرسطو، مع رده إلى حكم العقل، وتكميله بمكتشفات العلم. وهذا يدل على محاولته الفاعلة لوضع مذهب؛ لذا كان تلاميذه ومعاصروه يعتقدونه فيلسوفًا أصيلًا لا مجرد شارح(٢).

(١) أ يوسف كرم، مرجع سابق، ص: ١٦٣، قارن د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوربا، مرجع سابق، ص: ٤١

(٢) أ. يوسف كرم، مرجع سابق، ص: ١٦٣ بتصرف.

وإن كان هذا هو رأي تلاميذه ومعاصريه فإن حقيقة الأمر أن آراءه قد ضاعت في ثنايا شروحه وعرضه لفلسفة أرسطو وآرائه، بحيث لم تعد واضحة أو محددة تحديدًا تامًّا. ومن هنا فإن تأثير القديس ألبرت هو تأثير المفسر والعارض أكثر من كونه مؤلِّفًا بالمعنى الحقيقي، إلا أن فكره تميز بحرية أكبر مما كانت عند تلميذه توما الأكويني(١).

فلم يقم ألبرت الكبير ببناء فلسفي واضح، بل وردت آراؤه الجديدة في ثنايا شروحه وعروضه، فلم يكن شاعرًا بأنه يقيم مذهبًا خاصًّا به ولحسابه الخاص، إلا أنه استطاع أن يرتب الأفكار الأرسطوطالية ترتيبًا واضحًا، وأن يقيم شبهَ بناءٍ فلسفيٍّ واضحٍ، بل يرجع له الفضل في إقامة هذا التيار الأرسطوطالي المسيحي(٢).

وهذا ما يؤكد عليه جيلسون، حيث يقول: «لقد انكب ألبرت على كل المعارف اليونانية والعربية؛ بشغف كبير، لعملاق منشرح الصدر...، لقد كان –في حالته تلك– الكثير من النزعة إلى التجميع»(٣).

إن القديس ألبرت كانت غايته وهدفه الأسمى تجميع كل ما وقعت يده عليه من تراث اليونان أو التراث العربي، وشرحه، وتنقيحه؛ أكثر من إقامة بناءٍ فلسفيٍّ خاصٍّ به.

(١) ينظر: د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: ٤١. د. جمال عفيفي: أضواء على الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص: ١٣٨.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: ١٣٠، د. محمد جلال شرف: مرجع سابق، ص: ٢٦٤.

(٣) جونو بوجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية، مرجع سابق، ص: ١١٩.

وإن كانت عناية القديس ألبرت قد توجهت إلى الجانب العلمي من فلسفة أرسطو بشكل خاص؛ فإن هذه النزعة كانت أساسًا لنهضة الفكر الأوربي الحديث(١).

فأهمية عمل ألبرت: أنه أرسى أسس العلوم المختلفة في الجهاز المعرفي الغربي، أو بلفظ آخر: قدم الأسس التي سيقوم عليها في المستقبل حل أزمة الفكر الغربي المسيحي، وهي الأزمة التي خلّفها الوقوف على فلسفة أرسطو وشُرّاحه. وإن كان ألبرت الكبير قد وضع الحل أو مهّد له؛ فإن القديس توما هو من أخذ على عاتقه إنجاز مهمة أستاذه(٢).

فالقديس توما مدين بفلسفته إلى أستاذه القديس ألبرت الكبير؛ حيث إنه وضع بين يديه تراث اليونان مجردًا، وتراث اليونان بثوبها العربي.

هذا هو أهم ما يميز منهج القديس ألبرت الكبير الفلسفي.

(١) د. عبد الرحمن بدوي: مرجع سابق، ص: ١٣٠ –١٣١.

(٢) د. زينب محمود الخضري: ابن سينا وتلاميذه اللاتين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: أولى، ١٩٨٦م، ص: ٨٩ –٩٠ بتصرف.

المبحث الثاني
فلسفة التوفيق عند القديس ألبرت الكبير

أولاً: التوفيق بين الدين والفلسفة.

ثانيًا: التوفيق بين أرسطو وأفلاطون.

المبحث الثاني

فلسفة التوفيق عند القديس ألبرت الكبير.

أولاً: التوفيق بين الدين والفلسفة.

لا شكَّ أن قضية التوفيق بين الدين والفلسفة كانت محورَ فلسفة العصور الوسطى، سواء أكانت فلسفة إسلامية أم مسيحية أم يهودية؛ إذا جاز لنا هذا التعبير؛ حيث شغلت هذه القضية حيزًا كبيرًا من إفكار الفلاسفة المسلمين مؤلفاتهم، وعلى رأسهم: الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وليس أدلَّ على ذلك من تخصيص الشارح الأعظم (ابن رشد) مؤلفًا خاصًّا للحديث عن تلك القضية، ألا وهو: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال).

أما الفلسفة اليهودية فيمثلها خيرَ تمثيل: موسى بن ميمون، الذي يوضح العلاقة بين الدين والفلسفة، مؤكدًا على دور العقل، حيث نظر إلى العقل على أنه رباطٌ بيننا وبين الله، فليس لنا أن ننبِذه، مؤكدًا على أن مهمة الفلسفة هي شرح الحقائق الدينية والتدليل عليها، وأن العقل له حد يقف عنده في قدرته على المعرفة، وحينئذ يجب اللجوء فيما لا يمكن أن يصل إليه العقلُ إلى الوحي، ومن هذا النوع: العالم السماوي(١).

أما المسيحية فنستطيع أن نقول: إن العلاقة، أو الصلة بين الدين والفلسفة؛ قد مرت بأطوارٍ أو مراحلَ، بيانُها على النحو الآتي:

(١) ينظر: د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصور الوسطى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط: ثانية ١٩٨٨م، ص: ١٠٣.

الطريقة الأولى:

يرى أصحابها أنه لا توجد منافسة بين الفلسفة واللاهوت؛ حيث كانت الفلسفة –في تلك المرحلة– بعيدةً عن المعتقدات، حتى عندما بدأت الفلسفة تتدخل في المسائل الاعتقادية؛ ظلت بعيدةً عن منافسة الدين، من حيث أهدافُها وأغراضُها، فيرى أصحاب هذا الاتجاه أنهم ليسوا في حاجة إلى الفلسفة؛ حيث إنهم يؤمنون بحقيقة لا ريبَ فيها، هي الإنجيل، ومن ثَمَّ فليسوا في حاجة إلى جدال أو تفسير.

الطريقة الثانية:

هي التي تقدم النقل على العقل، وهذه الطريقة تعطي الأفضلية للإيمان (النقل) على الفلسفة (العقل)، وهذه الطريقة مرتبطة بالقديس أوغسطين، ولكن لا يرفض أصحاب هذا الاتجاه أو هذه الطريقة العقل جملة وتفصيلًا؛ إذ إنهم يعترفون بإمكانية المعرفة عن طريق العقل، لكن بشروط، هي:

الشرط الأول: أن تكون المعرفةُ في الديانة المسيحية ذاتها.

الشرط الثاني: أن تكون في الكمال الإلهي.

الشرط الثالث: يتمثل في الإسهام في جمع شمل المؤمنين[1].

الطريقة الثالثة:

تتحدث هذه الطريقة عن أسبقية العقل على النقل، ولعل من أوائل الفلاسفة المسيحيين الذين اعتمدوا على سلطة العقل وحده، دون الالتجاء إلى سلطة أخرى كسلطة الكتاب المقدس، كما فعل القديس أوغسطين، إلا أن العقل عنده ليس هو المصدرَ الوحيد للمعرفة، بل هو المصدر الوحيد

(١) ترانشي وماركوس: مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ترجمة: د. ماهر عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، ط ١٩٩٧م، ص:٩٠

للبرهان؛ لأن الحدسَ الأساسَ الذي يقوم العقل الصريح برهانًا عليه هو حدسٌ ديني قائم على الإيمان، فيقترب بذلك القديس أنسلم من القديس أوغسطين، ويشاركه في قوله، «آمِنْ كي تعقل»(١).

الطريقة الرابعة:

وهذه الطريقة هي التي تجعل لكل من العقل والوحي ميدانه الخاص؛ فالفلسفة لها مجالها الخاص، كما أن للدين ميدانه الخاص. ويمثل هذا الاتجاه: القديس ألبرت الكبير وتلميذه القديس توما الأكويني الذي يرى أن الفلسفة ليست إلا خادمة للاهوت، كما أن الدين يعصم العقل من الضلال الذي قد يقع فيه في حال ما إذا تُرك لنفسه(٢).

ونستطيع –من خلال الطرق السابق عرضها– أن نقول: إن أصحاب هذه الطرق قد تأثروا بالفلسفة اليونانية (الأفلاطونية منها والأرسطية)؛ لذا فقد اختلفت توجيهاتُهم تبعًا لهذا التأثر، وهذا ما أكد عليه الدكتور/ عبد الرحمن بدوي، حيث قال: «وفي مشكلة العقل والإيمان؛ كان أصحابُ النزعة الأفلاطونية أكثرَ ميلًا إلى توكيد تطابق العقل والنقل، بينما أصحاب النزعة الأرسطية رأَوْا أنه لا مفرَّ من التمييز بينهما تمييزًا واضحًا؛ فثمة موضوعات من شأن العقل، وثمة أخرى من شأن الإيمان، ولا مدخل لأحدهما في الآخر»(٣).

(١) د. حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار التنوير للطباعة والنشر، ط ١٩٨١م، ص: ١٠٦.

(٢) ينظر: د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة، مرجع سابق، ص: ١٠٣.

(٣) د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: (ي – يا) من المقدمة.

ثم يؤكد على أثر هذا التوجه وهذا الاختيار لطبيعة العلاقة بين العقل والنقل، فيقول: «على أن أصحاب النزعة الأولى تستولي عليهم نَقْوى حادة، تصل إلى حد التصوف العالي والرُّوحانيّة المُحَلِّقة في الآفاق العالية. أما أصحاب النزعة الأرسطية فأقرب إلى المنطق العقلي الصريح والارتكاز إلى الأمور المحددة العينية، وأبعد عن التحليق في سبحات التصوف؛ ولهذا فإن اتجاهَهم العقليَّ أقربُ من الاتجاه النقلي عند الأولين»[١].

فالمدرسة الأفلاطونية بطبيعتها مدرسة مثالية روحانية، بينما المدرسة الأرسطية مدرسة عقلانية.

أما عن موقف القديس ألبرت من التوفيق بين العقل والنقل:

فلا شك أن القديس ألبرت الكبير ظهرت لديه –بوضوح– نزعةٌ توفيقية؛ حيث استطاع أن يجمع بين الأفكار المتعارضة والفلسفات المختلفة من أفلاطونية وأرسطوطالية وأفلاطونية محدثة، فضلاً عن الفلسفة المشائية الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها، محاولاً التوفيق بينها لتقديم مذهبٍ وبناءٍ فلسفيٍّ، إلا أنه في تلك المحاولة قد استوعب كل هذه الفلسفات والأفكار، ولم يستطع السيطرة عليها، ولم تنجح محاولته بشكل كامل، وهذا ما أشار إليه الدكتور يوسف كرم حيث يقول: «إن القديس ألبرت الكبير استوعب المذاهب ولم يسيطر عليها»[٢].

ولكنه أجاد في نقل هذه الأفكار والفلسفات وأحسن تقديمَها إلى الغرب اللاتيني، ولا غَرْوَ؛ فقد استفاد منها تلميذه القديس توما استفادةً كبيرة، ولِمَ لا وقد نجح الأستاذ والتلميذ في تقديم أرسطو إلى الغرب المسيحي.

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: (ي – يا) من المقدمة.

(٢) أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٧.

فقد كان للقديس ألبرت الكبير والقديس توما الأكويني السبب الحقيقي في قبول الغرب المسيحي لأرسطو؛ لأن العلاقة بين الإيمان والعقل كانت المشكلة الرئيسة التي تواجه هذا الغرب، وكان حلُّها من قبل القديس ألبرت الكبير يستند إلى يقينين، هما: حقائق الدين الموحي والوقائع التي صادفته في خبرته الذاتية، فنظر القديس ألبرت إلى أرسطو بوصفه مرشدًا للعقل لا لكونه سلطةً مطلقة، وإذا وجد في فلسفته ما يعارض أو يصطدم بالوحي أو بوقائع الملاحظة سواء من خلال النص الواضح أو بتأويل الشراح من المسلمين، فإنه ينسب الخطأ إلى أرسطو، بل أكد القديس ألبرت الكبير على أنه يجب الاسترشاد بآباء الكنيسة في الإيمان والأخلاق، بينما يجب الاسترشاد بأرسطو والعلماء الآخرين في المسائل الطبية والعلمية؛ لأنهم على معرفة أشمل بالطبيعة(١).

أما عند الوقوف على حقيقة موقفه من العقل والنقل –أو من الفلسفة واللاهوت– فقد ميز ألبرت الكبير تمييزًا واضحًا بين الفلسفة واللاهوت بسبب تأثره الكبير بكتب أرسطو وفلسفته، فقال إن الأمور اللاهوتية لا تتفق في مبادئها مع الأمور الفلسفية؛ فاللاهوت يقوم على الوحي دون العقل، لذا فإننا لا نستطيع في الفلسفة أن نخوض في مسائل لاهوتية، ولكننا في اللاهوت نستطيع استخدام الفلسفة، بل يحتم علينا استخدام الفلسفة لنفهم اللاهوت على قدر ما نستطيع، فالفلسفة خادمة للاهوت؛ حيث تساعدنا على فهمه(٢).

(١) ينظر: مراد وهبة، منى أبو سنة: ابن رشد والتنوير، تقديم بطرس غالي، دار الثقافة الجديدة، ط: أولى، ١٩٩٧م، ص٤٥.

(٢) ينظر: أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٤، د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت =

ثم يوضح القديس ألبرت أهمية الفلسفة وضرورتها، بل يتهم ويصف كل من يحاول محاربة الفلسفة أو الهجوم على المشتغلين بها بأنهم حيوانات عجماوات وأنهم جهلاء ويسبون ما يجهلون، ثم يضيف أنه من العار في نظره إبداء رأي في الفلسفة دون دعمه بالدليل، وأننا لا ينبغي أن نهتم بالقائل، بل نهتم بما يقول ونعقله، فذلك أصوب وأنفع(١).

ثم يفرق بين الفيلسوف ورجل الدين، حيث يرى أن الفيلسوف يقوده العقل، بينما رجل الدين يقوده الوحي والمعتقدات الإيمانية، فلكل مجاله وميدانه، فلا بد من استقلال كل منهما، فإذا حدث تعارض بينهما فلا بد من الرجوع لرجل الدين وليس الفيلسوف(٢).

وكما ميز القديس ألبرت بين اللاهوت والفلسفة ميز أيضًا بين اللاهوت الذي يتخذ من الوحي الأساس الوحيد –وهو: اللاهوت المقدس– وبين اللاهوت الذي هو من عمل العقل الطبيعي، أي نتاج لقدرات العقل الإنساني، وهذا اللاهوت الطبيعي يسترشد بحقائق الوحي التي تحدد له

=

– لبنان، ط ثانية، ١٩٨٨م، ص ١٠٣. د. إبراهيم مدكور: معجم أعلام الفكر الإنساني، مرجع سابق، ص ٦٦٤. د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوروبا، مرجع سابق، ص ٤٢، د. جمال عفيفي: أضواء على الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(١) ينظر: أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٤. د. محمد جلال شرف: مذاكرات في الفلسفة المسيحية، مرجع سابق، ص٢٦٥. د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص١٤٣. د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوروبا، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) ينظر: د. جمال عفيفي: أضواء على الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٣٩.

الطريق فلا يحيد عنه، وهذا اللاهوت جزء من الميتافزيقا، فالفلسفة الأولى مثلا تعالِج ضمن ما تعالج الله كموجود أول، أما اللاهوت المقدس فيعالج موضوع الله كما صوره الوحي(١).

ويفصل القديس ألبرت بين الفلسفة واللاهوت المقدس وأن استخدم الفلسفة في اللاهوت الطبيعي الذي يمكن أن يعد نوعًا من الميتافيزيقا أو هو بالفعل جزء منها، فقد أعطى القديس ألبرت شيئًا من الحرية للعلم والفلسفة اللذين كانا مسخَّرَيْنِ في العصور الوسطى لخدمة الدين، حتى إن الفلسفة كانت تسمى: خادمة اللاهوت(٢).

ولعل القديس ألبرت في موقفه هذا كان قريبًا ومتأثرًا بموقف الفيلسوف الأندلسي والشارح ابن رشد، وإن كان ابنُ رشد أكثرَ جَرْأَةً؛ حيث لجأ إلى التأويل عند تصادم الفلسفة مع الدين، فكان يرى ويؤمن بأن كل حقيقة فلسفية موجودة في النصوص الدينية، حتى وإن بدا هناك تعارض ظاهر بين الحقيقة الفلسفية والنص الديني فهذا بالقطع تعارض ظاهر والتأويل كفيل بالقضاء عليه، بخلاف القديس ألبرت الذي كان يدعي أنه مجرد شارح ومحايد لفكر أرسطو، فهو يعرض هذا الفكر سواء أكان مومنًا به أم لا، ولكنه كان يدافع أحيانًا بحماس عن بعض الآراء الأرسطية، ويرفض البعض الآخر؛ مما يوكد كونه فيلسوفًا صاحبَ موقف من تلك الآراء التي يعرضها(٣).

---

(١) د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٢) د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، =

وهذا يوكد على محاولته التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين العقل والنقل، وإن كانت محاولة على استحياء نظرًا للموقف العدائي لأوروبا المسيحية آنذاك من أرسطو وفلسفته.

ولقد تأثر الكثير من الفلاسفة المحدثين بموقف القديس ألبرت وتوفيقه بين الدين والفلسفة، وفي مقدمتهم روجر بيكون، حيث اعتقد بيكون أن اللاهوت يجب أن يكون سيدَ العلوم وأن الفلسفة يجب أن تكون في خدمته وإن كانت نظرته للفلسفة تختلف عن نظرة معاصريه، فالفلسفة عنده ليست ترديدًا وشرحًا وتأويلاً كما سبق إليه القدامى، بل هي فكر جديد يمكن التوصل إليه بفضل منهج جديد يعتمد أساسًا على التجريب(١).

كما تأثر بفكر القديس ألبرت الكبير أبو الفلسفة الحديثة ديكارت؛ فإن كان قد أعلى من صوت العقل في أول قواعد منهجه في المقال إلا أنه صرح في مبادئ الفلسفة بأن كل ما أوحى به الله أوثق بكثير من كل ما عداه، وبهذا شابه القديس ألبرت وتلميذه توما ومن جرى مجراهما من الفلاسفة الدينيين في تصور العقل مستسلمًا لسلطان الوحي(٢).

وأخيرًا فقد انقسم المؤرخون حول موقف القديس ألبرت الكبير من علاقة الفلسفة بالدين إلى قسمين، هما:

=

ص.١٤٤-١٤٥.

(١) ينظر: د. زينب الخضيري: ابن سينا وتلاميذه اللاتين، مرجع سابق، ص١١٠-١١١

(٢) ينظر: د. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر، ط: ثانية، ١٩٥٨م، ص١٧٩.

القسم الأول:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القديس ألبرت مجرد شارح أمين لا يعلن أبدًا عن آرائه الخاصة التي يدخرها لأعماله اللاهوتية، وبناءً على ذلك فلم يحاول القديس ألبرت –في نظر أصحاب هذا الاتجاه– التوفيقَ بين الفلسفة الأرسطية والعقيدة المسيحية، ودليل ذلك أنه كان يكشف التناقضات الواضحة بين المذهبين.

القسم الثاني:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القديس ألبرت كان يقدم في شروحه ما يؤمن به إلى جانب تقديمه لنص أرسطو مفسرًا، وهذا ما يؤكده روجر بيكون الذي يرى في القديس ألبرت مؤلفًا ومفكرًا مستقلًّا يعبر عن آرائه الخاصة، ويتفق معه في ذلك فان ستينبرجن(١)؛ حيث يرى أنه في حالة إنكار القديس ألبرت الكبير لقيمة الفلسفة اليونانية وفائدتها للمفكرين المسيحين فبالتالي تبدو كل شروحه لها عبثاً لا معنى له، فضلاً عن كونه يتساءل: لماذا أمضى عالم لاهوت له مكانة القديس ألبرت جزءًا كبيرًا من حياته في تأليف هذه المؤلفات إذا كان لا يعتقد أن ما قدمه الفلاسفة اليونان والعرب يمثل رصيدًا ثمينًا من الحقائق حتى بالنسبة لعلماء اللاهوت؟ كما أن تقدير ألبرت الكبير لأرسطو واضح في كل أعماله، وقد لمسنا ذلك مئات المرات منذ بدء في التأليف أي: منذ بدأ في وضع كتبه اللاهوتية الأولى، حيث تمثلت الكثير من نظريات أرسطو في بنائه اللاهوتية(٢).

(١) فان ستينبرجن: van steenbergen فيلسوفة من أصل بلجيكي أو هولندي.

(٢) ينظر: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص.١٤٧-١٤٨

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقول:

إن السبب الرئيس خلف محاولة القديس ألبرت الكبير التوفيق بين الدين والفلسفة هو حُبُّه للفلسفة بشكل عام ولأرسطو بشكل خاص، وفي تلك الآونة كان النزاعُ حول أرسطو وفلسفته على أشده؛ لما تضمنته كتبه من آراء معارضةٍ للدين المسيحي، فضلاً عن تحريم كتب أرسطو الطبيعية، وحظر تدريسها خاصة في جامعة باريس التي كان يعمل بها القديس ألبرت أستاذًا؛ لذلك حاول التوفيق بين الدين والفلسفة.

وإن كانت محاولةُ القديس ألبرت في التوفيق بين العقل والنقل، أو بين الدين والفلسفة لم تكتمل بشكلٍ واضحِ المعالمِ كما هو الحال عند فلاسفة الإسلام، ولعل السبب في ذلك هو أن هدف القديس ألبرت الكبير بدايةً لم يكن السعيَ وراء التوفيق بين الدين والفلسفة بقدر ما كان محاولةً لتقديم التراث اليوناني خاصةً الأرسطي منه بكل كنوزها إلى العالم المسيحي دون المساس بحقائق اللاهوت المسيحي، فحاول التوفيق بين الدين والفلسفة أثناء تحقيق هدفه الرئيس، وليس أدلَّ على ذلك من فصله وتمييزه بين حقائق الدين وحقائق الفلسفة، وإن كان حاول بكل عزم أن يؤكد على نفي التعارض والتصادم بين حقائق الدين وحقائق الفلسفة.

ويوكد ذلك جميس وشبيل حيث يقول: «لقد سعى القديس ألبرت بكل عزم للعمل على نفي الصراع بين الإيمان والعقل الذي أدخله مجموعة من الفلاسفة إلى الجامعات تحت شعار مبدأ الحقيقة المزدوجة، ذلك الشعار الزائف»[1].

(1)James A. Weisheipl: Albertus Magnus and the sciences commemorative essays , printed by the hunter rose , co. ١td, Toronto , Canada , 1980, P-578

فظهرت محاولته التوفيقية في حديثه عن قضية الألوهية، وقضية قدم العالم وحدوثه، وغيرها من القضايا اللاهوتية والفلسفية.

ثانيًا: التوفيق بين أرسطو وأفلاطون:

وكما حاول القديس ألبرت التوفيق بين الدين والفلسفة وجدناه قد حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو، شأنه في ذلك شأن الكثير من فلاسفة الإسلام الذين حاولوا ذلك في قضاياهم الفلسفية وإن كان المعلم الثاني هو من أفرد كتابًا لتلك المحاولة وإن كان لم ينجح في محاولاته فهل تابعه في ذلك القديس ألبرت ولم ينجح هو الآخر في تلك المحاولة؟ أم استطاع التوفيق بين أرسطو وأفلاطون؟

بداية نجد القديس ألبرت الكبير يؤكد أن من أراد تعلم الفلسفة والوقوف على أغوارها لا يكون له ذلك إلا بالوقوف على فلسفة أرسطو وأفلاطون فيقول: «لا يعد المرء فيلسوفًا متيناً ما لم يحصل على العلم بأرسطوا وأفلاطون معًا»(١).

وهذا يشير إلى محاولته التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو، فالفيلسوف الحقيقي عنده من يجمع بين الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأرسطالية.

كما تظهر هذه الفلسفة التوفيقية بين أرسطو وأفلاطون في حديثه عن قضية قدم العالم وحدوثه، ويظهر ذلك في تفسير القديس ألبرت لكيفية الخلق، حيث وُجد في زمن القديس ألبرت نظريتان مشائيتان فيما يتعلق بأفلاك السماوية الأولى: هي نظرية أرسطو التي عرضها في كتابه: الحادي عشر من الميتافيزيقا والتي قدمها ابن رشد في كتابه: "جوهر الأجرام السماوية"، أما النظرية الأخرى فهي التي عرضها الفارابي وابن سينا

(١) أ. يوسف كرم، مرجع سابق، ص١٦٤

والغزالي، فلم يلتزم القديس ألبرت بأي من هاتين النظرتين بل أخذ منهما معًا، فحاول الجمع بين أرسطو وأفلاطون في نظرية الفيض بمعنى أنه قد تأول أرسطو تأويلاً أفلاطونيًّا محدثًا[1].

كما تظهر محاولته التوفيقية بين أرسطو وأفلاطون بشكل واضح في حديثه عن تعريف النفس، حيث يقول في خلاصته اللاهوتية: «إذا كان الأمر هو تعريف النفس في حد ذاتها فإننا نعتقد أن أفلاطون كان على حق، أما إذا كان الأمر على العكس –وهو تعريفها باعتبارها صورة للبدن– فالحق يكون مع أرسطو»[2].

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول:

إن السبب خلف محاولة القديس ألبرت الكبير للتوفيق بين أفلاطون وأرسطو هو تأثره بفلاسفة الإسلام الذين سبقوه لتلك المحاولة، وفي مقدمتهم المعلم الثاني الفارابي، وإن كان القديس ألبرت أقرب إلى الشيخ الرئيس ابن سينا من غيره من فلاسفة الإسلام، فضلاً عن كونه قد وجد حلولاً لكثير من القضايا الفلسفية واللاهوتية بالتوفيق والجمع بين رأي أفلاطون وأرسطو كما في تعريف النفس وغيرها من المسائل، وإن كان قد تابع ابن سينا في ذلك.

هذه هي أهم المحطات التوفيقية عند القديس ألبرت الكبير، وإن كان أهمها هي محاولته التوفيق بين الدين والفلسفة التي كانت أساسًا قامت عليه فلسفة تلميذه النجيب القديس توما الأكويني.

---

(١) ينظر: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٢٤٤–٢٤٥

(٢) ينظر: أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٦–١٦٧، د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٣٤٧

المبحث الثالث

مظاهر التوفيق بين الدين والفلسفة عند القديس ألبرت

أولاً: قضية الألوهية عند القديس ألبرت.

ثانيًا: قضية العالم عند القديس ألبرت.

ثالثًا: قضية النفس وخلودها عند القديس ألبرت.

تتضح مظاهر التوفيق بين الدين والفلسفة في فلسفة القديس ألبرت الكبير من خلال الحديث عن أشهر القضايا اللاهوتية والفلسفية التي يتشارك فيها معظم اللاهوتين والفلاسفة عبر العصور من الحديث عن قضية الألوهية، والعالم بين القدم والحدوث، وأخيرًا الحديث عن النفس ومصيرها، وهذا ما سنعرضه على النحو الآتي:

أولاً: قضية الألوهية عند القديس ألبرت الكبير.

عند الحديث عن هذه القضية لا بُدَّ أن نتناول أهم المسائل المتعلقة بها التي أجمع المفكرون والفلاسفة على تناولها، ألا وهي: الحديث عن أدلة وجود الله –تعالى–، والحديث عن الصفات الإلهية.

١–أدلة وجود الله:

لقد ظهرت النزعة التوفيقية عند القديس ألبرت الكبير في حديثه عن قضية الألوهية؛ حيث نجده في حديثه عن الخالق –سبحانه وتعالى– وكيفية البرهنة عليه قد وفق بين الدين والفلسفة، أو قُل: بين النقل والعقل؛ حيث نجده بداية تحدث عن كون وجود الله بيِّنًا بذاته ولا يحتاج إلى دليل عقلي لإثباته، وهو بذالك متمسك بنزعته الدينية المسيحية.

فالله لا يحويه عقل، كما جاء في إنجيل (يوحنا ١: ١٨): "الله لم يره أحد قط"، بمعنى أن الله لا يدرَك بالحواس فحسب، بل إنه لا يدرك بالعقل أيضًا، ولا يمكن أن يصبح بداهة عقلية على طريقة حقائق الرياضيات(١).

فالله لا يدركه عقل، لا لأنه مبهم غامض بحد ذاته، بل على العكس؛ لأنه الحقيقة الساطعة التي يفوق ملؤها طاقة العقل على الاستيعاب. فكما أن العين عاجزة عن الشخوص إلى الشمس؛ لأن نور الشمس يبهرها، هكذا

(١) كوستي بندلي، مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى العقيدة المسيحية منشورات النور، ط: ثالثة، ١٩٨٢م، ص٢٤.

العقل عاجز عن إدراك الله، وهذا ما عبر عنه الكتاب المقدس بقوله: "الله ساكن في النور الذي لا يدنى منه" (ثيموثاوس ٦: ١٦). وكما أن العين لا تستطيع أن تحدق إلى قرص الشمس وتشاهد انعكاساتها على الكائنات فهكذا العقل لا يدرك الله، إنما يستطيع أن يهتدي إليه انطلاقًا من آثاره في الكون(١).

فقد التزم القديس ألبرت الكبير في مؤلفاته الأولى بالطريقة الأوغسطينية، ويكاد يعتبر وجود الله بَيِّنًا بذاته، فيشرح ويفسر وجوده أكثر ما يبرهن عليه، بل قد ذهب في تفسيره لديونيسوس: إلى أن الله ليس بينه وبين العالم تناسب، فلا تصلح فكرة العلية أن تكون أساسًا للاستدلال على وجود الله، وبالتالي فلا يكون محتاجًا إلى دليل أو برهان على وجوده(٢).

وفي ذلك يقول القديس ألبرت الكبير: «إن الله لا يمكن أن يكون غير موجودٍ، أو بمعنى آخر: إن الله لا بد أن يكون موجودًا؛ وذلك لأننا لا يمكننا أن نتصور أو نغفل أنه غير موجود، وهو إن صح التعبير – يُعد موجودًا ضروريًّا، وهو الكائن الوحيد الذي يتمتع بهذا الوجود الضروري»(٣).

---

(١) ينظر: كوستي بندلي، مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦

(٢) أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٥، د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص٩٥، د. محمد جلاء شرف: مذاكرات في الفلسفة المسيحية، مرجع سابق، ص ٢٦٥، د. نادية عبد الغني البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مجلة وادي النيل للدارسات والبحوث، عدد ٩، ط٢٠١٦، ص٨.

(3)Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the middle ages first. Published , London , 1955 , p.291

فمسألة الاعتقاد في وجوده والإيمان بحضوره مسألة بديهية لا يمكن جعلُها موضوعًا للاستفهام أو سبيلاً للاستدلال، فهو الذي يمنح الكائنات وجودها بقدرته وبفاعليته(١).

ولم يكن القديسُ ألبرت الكبير أولَ من صرح بأن وجود الله –عز وجل– بيِّنٌ بذاته ولا يحتاج إلى دليل أو برهان، فقد سبقه في ذلك القديس أوغسطين، فلعله قد تأثر بالقديس أوغسطين في هذا الرأي.

وهذا ما نقله عنه القديس توما الأكويني في تصويره لحجة القديس أوغسطين بالقول بأن وجود الله بيّن بذاته فقال: «إن وجود الحق بيّن بذاته، وأن ما ينكره يسلم به؛ لأنه إذا كان الحق معدومًا فكونه معدومًا حق، والله هو الحق بعينه، فلا بد أن نسلم بأن وجود الله بيّن بذاته؛ مصداقًا لقوله في إنجيل (يوحنا ١٤) "أنا الطريق والحق والحياة"... »(٢). وإن كان القديس أوغسطين دلل بعد ذلك على وجود الله.

ولقد رفض القديس توما الأكويني هذا القول وأكد على أن وجود الحق –سبحانه– يحتاج إلى دليل فيرد على حجة القديس أوغسطين بقوله: «إن وجود الحق في الجملة بيّن بنفسه، وأما وجود الحق الأول فليس بَيِّنًا بنفسه لنا»(٣).

ومن قبله أفلاطون؛ حيث نجد أنه قد أكد في محاورته على أن الاعتقاد في فكرة وجود الله لا يأتي نتيجة استنباط أو ثمرة اجتهاد، بل هو أمر مسلم به ولا يختلف عليه أحد(٤).

---

(1)I bid, p.291

(٢) القديس توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج١، ترجمه من اللاتينية إلى العربية: بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ط: أولى، سنة ١٨٨٩م، ص٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠

(٤) أفلاطون محاورة القوانين، ترجمة: د. تيلور ونقلها إلى العربية: محمد حسن ظاظا، =

وبعد اطلاع القديس ألبرت الكبير على فلسفة أرسطو ومؤلفاته ودراستها تبين له واقتنع بأن وجود الله يمكن التدليل عليه باعتباره ليس بيّنًا بذاته، وهو في ذلك يوافق القديس أنسلم(١) الذي صرح بوجوب البرهنة على وجود الله.

وقد قدم لنا القديس ألبرت دليلين على وجود الله، هما:

أ) دليل الحركة:

يبرهن القديس ألبرت الكبير على وجود الله اعتمادًا على فكرة الحركة مبينًا أن سلسلة من الحركات غير المتناهية في هذا العالم يُعد أمرًا مستحيلاً، وبالتالي لا بد من الوقوف عند محرك أول يحرك العالم دون أن يتحرك، وهو الله(٢).

وإن كان القديس ألبرت قد تأثر بهذا الدليل أيضًا من أرسطو إلا أن هناك فارقًا كبيرًا بين محرك أرسطو ومحرك القديس ألبرت؛ فالمحرك عند أرسطو علة غائية، ليس علة فاعلة، فالعالم يتحرك شوقًا وحبًّا لمحركه،

=

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١٩٧٠م، ص٣٣-٣٤، قارن د. نادية البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مرجع سابق، ص٩ .

(١) القديس أنسلم: (١٠٣٣-١١٠٩م) وهو فيلسوف ولاهوتي، أعلن قديسًا سنة ١٤٩٤م، ، من مؤلفاته: مناجاة النفس، العظة، وغيرها. ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، وجلال العشري، وعبد الرشيد الصادق، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، ص ٨.

(2)Etienne Gilson: The Philosophy of St. Thomas Aquinas, Dorset press , New York, U.S.A, P67-68, Fredrick Copleston: A history of philosophy Vol 3 , Search press limited , first published , London,1976, p296

قارن: د. نادية عبد الغني البرماوي، مرجع سابق، ص١٢-١٣.

ولا يحركه المحرك الأول بينما المحرك الأول أو كما يسميه القديس ألبرت الموجود اللامتناهي فهو محرك أول واحد ثابت يحرك العالم مباشرة ودون وساطة.

ولعل القديس ألبرت الكبير أقرب إلى متكلمي الإسلام منه إلى أرسطو بقوله بهذا الدليل؛ حيث أرى أن دليل القديس ألبرت أقرب إلى دليل الحدوث عند المتكلمين.

ب) دليل العلية:

يوضح القديس ألبرت هذا الدليل بأنه يجب الوصول إلى علة أولى بناءً على استحالة التسلسل في العلل إلى ما لا نهاية، غير أن هذه العلة لا يمكن أن تكون متماثلةً مع العلل المتناهية الأخرى الموجودة في العالم، وإلا كانت متناهية مثلها، ومن ثم لا تصبح علة أولى، بل تكون مفتقرةً إلى علة أخرى؛ مما يجعلنا نستمر في سلسلة من العلل المتناهية، الأمر الذي لا يمكن أن نعقله، ومن ثم فلا بُدَّ من الوقوف عند علة أولى لا متناهية، وهو الله[1].

(١) ينظر: أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٥، د. إبراهيم مدكور: معجم أعلام الفكر الإنساني، مرجع سابق ،ص٦٦٥، د. علاء عبد المتعال: فلسفة العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص٩٥، د. محمد جلاء شرف: مذاكرات في الفلسفة المسيحية، مرجع سابق، ص ٢٦٦، د. جمال عفيفي: أضواء على الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص ١٤٢.

Etienne Gilson: The Philosophy of St. Thomas Aquinas P.80, 81

فيؤكد القديس ألبرت على أن المؤثر في حياة الإنسان بشكل كامل هو جوهر منفصل، وهو العقل المنفعل، والإنسان بحاجة دائمة إليه، وهو الله –سبحانه وتعالى–[١].

ثم يؤكد أتين جليسون على أن القديس ألبرت الكبير قد تأثر في هذا الدليل بابن سينا، وإن كان هذا الدليل موجودًا في فلسفة أرسطو، ولكن أرسطو لم يعرض هذا الدليل لإثبات وجود الله كما فعل ألبرت الكبير، ومن قبله ابن سينا ولكن لإثبات استحالة التسلسل في جنس العلل إلى ما لا نهاية وضرورة الوقوف على علة أولى، فلم يأخذه القديس ألبرت مباشرة من أرسطو، ولكن من ابن سينا، حيث كان يهدف إلى الاستدلال على وجود الله من خلال بيان ضرورة وجود علة خالقة لهذا الكون[٢].

٢–الصفات عند القديس ألبرت:

نجد أن القديس ألبرت الكبير وإن كان حديثه عن الصفات جاء مجملاً إلا أنه اتفق مع معظم اللاهوتيين والفلاسفة في حديثه عن الصفات، من الحديث عن العلاقة بين الذات والصفات وتقسيم الصفات إلى سلبية وثبوتية، فضلاً عن تقديم الصفات السلبية على الصفات الثبوتية.

علاقة الذات بالصفات عند القديس ألبرت:

نجد أن معظم علماء اللاهوت المسيحي قد اتفقوا على القول بأن الصفات الإلهية عين الذات وليست زائدةً عليها، وفي مقدمة هؤلاء: القديس أوغسطين، حيث يقول في كتابه: "الاعترافات": «إن الله هو الكائن المطلق،

(1)James. A. Weisheipl , Albertus Magnus and the sciences commemorative essays , Printed by The Hunter Rose Co., Toronto, Canada,1980,.p73.

(2)Ibid, p.118

فهو ليس عاقلاً ولا عادلاً، بل إن هذا التعقل وهذا الكمال وهذه العدالة هي الله، فليس لله صفاتٌ، وإنما هو هذه الصفات»[١].

إذن هذه الصفات ليست شيئًا يُضاف إلى الذات، بل هي عين الذات، ويعتبر من الكفر أن نقول إن الله غير الحقائق الأزلية؛ لأن هذه الحقائق الأزلية الأبدية هي صفات الله، وليست زائدةً عليه[٢].

ولم يخرج القديس ألبرت الكبير عن هذه الروح؛ حيث بين أن الله يُمثل الوجود الضروري الذي لا يختلط به أي وجود عارض، كما أنه لا يشوبه أي وجود بالقوة، فهو يُمثل وجودًا خالصًا، أو بالأحرى فعلا خالصًا، كما يتصف بالحياة والحرية والقدرة اللانهائية، موكدًا أن صفاته تُعد عينَ ذاته، أي أنها ليست مضافة ولا محمولة عليه[٣]. فالوجود والماهية يمثلان في الله شيئًا واحدًا[٤].

(١) القديس أوغسطين: الاعترافات، ترجمة: القمص قزمان البرموسي: مراجعة: حنا فام المحامي، ج١، ط: أولى، ١٩٠٣م، ص٥-٤.

(٢) د.عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٢٤٨، قارن د.غادة الغنيمي، العقائد الإيمانية ومصادرها عند القديس توما الأكويني ومدى تأثره بالفكر الإسلامي الكلامي والفلسفي، إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، ط :أولى، ٢٠٢٥م، ص٢٤٨.

(٣) فريدرك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص ١٢، قارن د نادية البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مرجع سابق، ص ١٥.

(4)Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the middle ages, P-291

-أقسام الصفات عند القديس ألبرت:

يقسم القديس ألبرت الكبير الصفات إلى:

أ-صفات سلبية.ب-صفات إيجابية.

ونجده يتفق مع معظم اللاهوتيين والفلاسفة من تقديم الصفات السلبية مع الصفات الثبوتية، فيقول: إنه -سبحانه- يعلو فوق كل التصورات وعلى كافة الأسماء التي نحملها عليه معليًا من شأنه، ومتخذًا من معرفته بطريق السلب وسيلةً لبيان وصفه، بمعنى أننا نعرفه بما ليس هو أكثر من معرفتنا بما هو(١).

فيبين القديس ألبرت حجة تقديمه السلب على الإثبات بقوله: «إن الطريقة السلبية ليست عيبًا ولا تحدث نقصًا في الذات الإلهية؛ وذلك لأننا لا نستطيع أن ندرك أي مفهوم إدراكًا جيدًا إلا عن طريق إدراك نقيضه، فنحن لا نعرف الخير ولا ندركه إلا إذا كان لدينا معرفة مسبقة عن الشر، وهكذا، فالنقيض يوضحه نقيضه(٢).

الصفات السلبية:

يرى القديس ألبرت الكبير أن الصفات السلبية تعني ما ليس هو، والمقصود بها تلك الصفات التي تنزهه عما لا يليق به باعتباره الكائنَ الأول

(١) فريدرك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص 12، قارن د نادية البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مرجع سابق، ص 15-16

(٢) ترانتي، وماركوس: مقالات في فلسفة العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٣١، قارن د. نادية البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مرجع سابق، ص 15-16

* وإذا كان القديس ألبرت قدم السلب على الإيجاب شأنه شأن معظم الفلاسفة اللاهوتيين إلا أنه قد تبين لنا أن الباحثة قد اختلط عليها الأمر بين نص القديس توما ونص القديس ألبرت؛ حيث إن هذا النص يرجع إلى القديس توما وليس للقديس ألبرت.

المطلق الذي لا يجوز عليه الفناء والتركيب، ومن أمثلتها أنه ليس بجسم، وأنه روحٌ خالصة، وأنه بريء من كل نقص وفساد وحركة وتركيب وتغير وصيرورة(١).

أما عن تقسيم الصفات عند القديس ألبرت على التحقيق، فإن كان القديس ألبرت اتفق مع القديس توما ومعظم اللاهوتيين في تقسيم الصفات السلبية والصفات الثبوتية فإن الصفات عنده جاءت على النحو الآتي:

- الصفات السلبية عند القديس ألبرت تتمثل فيما يأتي:

١) البساطة الإلهية:

يؤكد القديس ألبرت على أن الله بسيط، فهو ليس مركب من أجزاء أو عناصر؛ لأن التركيب يقتضي الحاجة إلى ما تركب منه، وهذا يتعارض مع كونه واجبَ الوجود.

ومن خلال هذه الفكرة يظهر مدى تأثر القديس ألبرت بالفلسفة الأرسطية وخاصة الشروحات الإسلامية لتلك الفلسفة.

٢) الأزلية وعدم التغير:

فالله -سبحانه وتعالى- أزلي، أي: أنه ليس له بداية ولا نهاية، كما أنه ليس متغيرًا، وإلا كان محتاجًا إلى مرجح يرجح هذا التغير على غيره، وهذا يتناقض مع وجوده المطلق(٢).

---

(١) ترانثي، وماركوس: مقالات في فلسفة العصر الوسيط، مرجع سابق ، ص١٣٠-١٣١، قارن د. نادية البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مرجع سابق، ص 16.

* كما تبين أن هذا النص في تقسيم الصفات يرجع إلى القديس توما وليس للقديس ألبرت.

(2)James A. Weisheipl , Albertus Magnus and the sciences commemorative essays,P-99,529

هذه هي أهم الصفات السلبية عند القديس ألبرت الكبير.

- **الصفات الثبوتية عند القديس ألبرت الكبير.**

ثم يوضح الصفات الثبوتية فيقول:

«أما الصفات الثبوتية أو الإيجابية فهي: التي تبين ما هو، أي: تلك التي تدل على كمالاته، ومن أمثلتها: العلم، والإرادة، والقدرة، والعناية، وأنه موجود بالذات، وأنه فعل محض لا تشوبه قوة ولا يخالطه انفعال»(١).

فالصفات الثبوتية عند القديس ألبرت تتمثل فيما يأتي:

١) الله هو الموجود المطلق:

يرى القديس ألبرت الكبير أن الله هو الوجود المطلق، فهو مصدر كل الكائنات، وهو الموجود بذاته، ومن ثم لا يحتاج لعلة لوجوده(٢)، فالله – سبحانه وتعالى– هو علة وجود كل الكائنات.

٢) الكمال الإلهي:

يرى القديس ألبرت أن الله هو الكمال المطلق وهو مصدر كل كمال وتتجمع فيه كل الصفات الخيرية من حكمة، وقوة، وخيرية، فهو مصدر كل حكمة(٣).

٣) العلم الإلهي:

يرى القديس ألبرت أن الله يعلم كل شيء بعلم كامل، فهو يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، فعلمه –تعالى– مباشر وكامل(٤).

---

(١) ترانتي، وماركوس: مقالات في فلسفة العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٣٠–١٣١

(2)James A. Weisheipl , Albertus Magnus and the sciences commemorative essays,P-99

(3)Ibid, P-99

(4)Ibid, P-101

٤) الإرادة الإلهية:

كما يرى القديس ألبرت أن الله مريد، وإن إرادة الله –سبحانه– إرادة حرة، فالله يريد الخير والشر، ولكنه لا يريد الشر لذاته بل يسمح به ضمن تدبيره العام للكون.

٥) القدرة الإلهية:

يرى القديس ألبرت أن الله قادر، وقدرته كلية، ولكن هذه القدرة لا تتعارض مع قوانين المنطق.

٦) الخير والمحبة الإلهية:

يرى القديس ألبرت أن الله هو الخير الأعظم، وأن كل خير في العالم مستمد منه، فهو المحبة الكاملة، كما أن الله محب لخلقه محبةً لا حدود لها، وليس أدلَّ على ذلك من تجسد المسيح وكونه فداءً للبشرية ومخلصًا لها[١].

ومن خلال حديث القديس ألبرت الكبير عن الصفات نجد أنه قد سعى جاهدًا وبكل عزم إلى العمل على نفي الصراع بين الإيمان والعقل أو بين الدين والفلسفة الذي أدخلته مجموعة من الفلاسفة إلى الجامعات تحت شعار مبدأ الحقيقة المزدوجة الزائف، فصفات الله –عزوجل–غير المرئية –كما يرى القديس ألبرت– يمكن ملاحظتها بوضوح منذ خلق العالم، حيث يتم إدراكها من خلال المخلوقات المشاهدة[٢].

هذه هي أهم الصفات الثبوتية عند القديس ألبرت الكبير.

(1)James A. Weisheipl , Albertus Magnus and the sciences commemorative essays,p528

(2)James A. Weisheipl , Albertus Magnus and the sciences commemorative essays,p.578

ونجد أن القديس ألبرت في حديثه عن الصفات الإلهية كان أقربَ للقديس توما منه للقديس أوغسطين، وهذا يوضح مدى تأثيره الكبير على تلميذه النجيب القديس توما الأكويني.

ثانيًا: قضية قدم العالم وحدوثه عند القديس ألبرت:

لا شك أن هذه القضية من أهم القضايا التي شغلت المفكرين عبر العصور بين القائلين بالقدم والقائلين بالحدوث والمتوقفين في هذه المسألة، بدايةً بفلاسفة اليونان ومرورًا بفلاسفة الإسلام والفلاسفة المسحيين واليهود، وانتهاءً بالفلاسفة المحدثين والمعاصرين.

ولقد تنوعت الحجج وتعددت الاستدلالات التي اعتمد عليها المفكرون والفلاسفة، فكان بحق سجالاً فكريًّا وفلسفيًّا بين الفرقاء، ولا أدلَّ على ذلك من الحجاج الفكري بين متكلمي الإسلام –وعلى رأسهم الإمام الغزالي وكتابه الشهير: "تهافت الفلاسفة" حيث كفر الإمام الغزالي الفلاسفةَ لقولهم بقدم العالم– وموقف الفلاسفة من هذا الكتاب وعلى رأسهم الشارح ابن رشد؛ حيث رد على هذا الكتاب بكتابه الأشهر: "تهافت التهافت"، ولعل ما حدث في البيئة الإسلامية انتقل إلى البيئة المسيحية وخاصة بين الرشديين اللاتين واللاهوتيين، حيث تأثروا بحجج الإمام الغزالي وعلى رأسهم القديس بونافنتورا، الذي لم تخرج أدلته وردوده على الفلاسفة عن ردود وإلزامات الإمام الغزالي.

ولقد انقسم هؤلاء الفرقاء إلى ثلاث فرق أو اتجاهات حول هذه القضية:

الفريق الأول: يرى ويتمسك بالقول بحدوث العالم، وعلى رأس القائلين بذلك أفلاطون قديمًا، وفيلسوف العرب الكندي، ومتكلمو الإسلام.

الفريق الثاني: ويرى القول بقدم العالم، وعلى رأس القائلين بذلك المعلمُ الأول أرسطو، وفلاسفةُ الإسلام القائلون بالقدم الزماني.

الفريق الثالث: ويرى هؤلاء التوقف في هذه المسألة، وعلى رأس القائلين بذلك جالينوس قديمًا وابن طفيل من فلاسفة الإسلام، وموسى بن ميمون في الفلسفة اليهودية.

وبعد هذه الإطلالة السريعة حول هذه القضية لا بد من الإجابة عن هذا التساؤل: ما موقف القديس ألبرت الكبير من قضية قدم العالم وحدوثه؟

وقبل أن نقف على موقف القديس ألبرت لا بد أن نشير –في عجالة– إلى موقف العقيدة المسيحية من تلك القضية، حيث يؤمن علماء اللاهوت بحدوث العالم، وهم بذلك يتمسكون بما جاء في الكتاب المقدس؛ حيث ورد بالآية (١: سفر التكوين): "في البدء خلق السماوات والأرض"، فعقيدة الخلق هي عقيدة الكتاب المقدس التي تقر بأن كل الموجودات قائمة الوجود بإرادة الله وخلقه ومستمدة منه وجودها، وهو ما يُعبر عنه بـ: (نؤمن بإله واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض)[١].

أما عن موقف القديس ألبرت الكبير من قضية قدم العالم وحدوثه فقد ظهرت النزعة التوفيقية عند القديس ألبرت بشكل جليٍّ، ليس فقط التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين العقل والوحي، وإنما ظهرت نزعة توفيقية أخرى، ألا وهي: محاولته التوفيق بين أفلاطون وأرسطو المعلم الثاني الفارابي، وإن

(١) ينظر كوستي بندلي، مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص٥٩.

كان لم ينجح في محاولاته فهل تابعه في ذلك القديس ألبرت ولم ينجح هو الآخر في تلك المحاولة؟ أم استطاع التوفيق بين أرسطو وأفلاطون؟

ويظهر ذلك في تفسير القديس ألبرت لكيفية الخلق، حيث وُجد في زمن القديس ألبرت نظريتان مشائيتان فيما يتعلق بأفلاك السماوية الأولى: هي نظرية أرسطو التي عرضها في كتابه الحادي عشر من الميتافيزيقا والتي قدمها ابن رشد في كتابه: "جوهر الأجرام السماوية"، أما النظرية الأخرى فهي التي عرضها الفارابي وابن سينا والغزالي، فلم يلتزم القديس ألبرت بأي من هاتين النظرتين بل أخذ منهما معًا، فحاول الجمعَ بين أرسطو وأفلاطون في نظرية الفيض، بمعنى أنه قد تأول أرسطو تأويلاً أفلاطونيًّا محدثًا[١].

ومن أغرب تأويلات القديس ألبرت الكبير لأرسطو إشارتُه بأن أرسطو لم يقل بقدم العالم محاولاً تبرير موقف أرسطو، فيقول: «إن الذي يفهم أرسطو جيدًا يرى –بلا صعوبة– أن هذا الفيلسوف لم يثبت أبدًا قدم العالم ولا قدم الحركة، ولكنه افترضهما»[٢].

وهنا نجد أن القديس ألبرت الكبير يدافع عن أرسطو دفاعًا شديدًا لم يتطرق إليه أحد من قبل، وهنا نلمَس محاولة القديس ألبرت التوفيقية بين الفلسفة الأرسطية والعقيدة المسيحية، أو قل: بين الدين والفلسفة.

(١) ينظر: د.زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٢٤٤-٢٤٥

(٢) ينظر: د.زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٢٤٥.

نستطيع أن نقول: إن للقديس ألبرت الكبير رأيين في هذه القضية:

الرأي الأول: وهو المشهور عنده، وهو التوقف والتمسك بما جاء به الوحي وهو المتابع فيه لرأي موسى بن ميمون فيقول: «إن أدلة أرسطو على القدم والأدلة المقابلة على الحدوث متعادلة القوة، وإن العقل قاصر عن البرهنة على أحد الطرفين، وإن الوحي وحده هو الذي يحسم هذه المشكلة»(١).

الرأي الثاني: القول بالقدم، ولعل الذي دفع القائلين بهذا الرأي هو ما قدمه القديس ألبرت من تفاصيلَ دقيقةٍ لنظرية الشيخ الرئيس ابن سينا في العقول المحركة للسماوات وعن خلقها كما جاء في النظرية المشائية المصطبغة بالصبغة الأفلاطونية المحدثة عند ابن سينا(٢).

فقد جمع القديس ألبرت بين القول بالقدم وبالصدور أي: بين الأرسطية والأفلاطونية(٣).

وهنا تظهر أيضًا النزعة التوفيقية عند القديس ألبرت الكبير بين أفلاطون وأرسطو.

(١) اعتمدت الباحثة في عرض هذه الفكرة على عدة مراجع منها:
Etienne Gilson: The Philosophy of St. Thomas Aquinas P. 101,
أ..يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٥،
د.علاء عبد المتعال: فلسفة العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص٩٦-٩٥.

(٢) ينظر: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٣) ينظر: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٢٤٧

ورغم أن نظرية الفيض لا تتفق مع العقيدة المسيحية القائمة على الخلق فقد أخذ بها القديس ألبرت؛ إيمانًا منه بأنها تعبر عن الحقيقة الفلسفية(١).

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقول إن القديس ألبرت في قضية قدم العالم وحدوثه لم يلتزم بالفلسفة الأرسطية فضلاً عن كونه لم يكن لاهوتيًّا حقيقيًّا، بل كان متأثرًا بالأفلاطونية المحدثة التي أخذها من الشيخ الرئيس ابن سينا، حيث كان أقربَ في نظرته للعالم لابن سينا أكثر من أرسطو واللاهوتيين المسيحيين، وإن كان قد حاول التوفيق بين أرسطو والعقيدة المسيحية تارة وبين أفلاطون وأرسطو تارة أخرى.

ثالثاً: موقف القديس ألبرت من قضية النفس وخلودها.

لا شك أن الحديث عن النفس شغل عقولَ أصحاب الأديان والملل فضلاً عن الفلاسفة، من الحديث عن ماهية النفس وأقسامها ووظائفها وصلتها بالبدن ومصيرها وكونها خالدة أم فانية، ولقد كان للقديس ألبرت اهتمامٌ خاصٌّ بالحديث عن النفس؛ حيث تمثل هذه القضية جوهرَ فلسفته التوفيقية بين الدين والفلسفة وبين الوحي والعقل، وهذا ما سنراه جليًّا في السطور القادمة.

وقبل أن نتحدث عن موقف القديس ألبرت من النفس لا بد أن نقف على نظرة العقيدة المسيحية للنفس الإنسانية؛ لنرى هل كان القديس ألبرت لاهوتيًّا حقيقيًّا في حديثة عن النفس أم كان فيلسوفًا حقًّا؟

يروي لنا الكتاب المقدس عملية خلق الإنسان في الفصلين الأول والثاني من سفر التكوين فيقول لنا إن الله أوجد الإنسان من تراب، وهذا ما تشير إليه كلمة "آدم"، ومعناها مأخوذ من "أداما" أي: الأرض(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٢) كوستي بندلي، مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، =

كما أن الله –سبحانه وتعالى– قد خلق آدم –عليه السلام– على صورته، كما جاء في الكتاب المقدس (التكوين ١:٢٦) "لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا"، وهذا يعني أن الله قد خص الإنسان وحده بهذه المَيْزَة عن غيره من المخلوقات(١).

أما عن غاية خلق الإنسان فقد أوجد الله البشر ليكونوا أحباء لله كما يقول القديس إيريناوس: "مجد الله هي حياة الإنسان"(٢).

كما أن الإنسانَ خالدٌ ليس بطبيعته ولكن لاتحاده بالله، فقد وهبه الله الخلود؛ لذلك جاء في الكتاب المقدس: (التكوين ٢:٩): "شجرة الحياة في وسط الجنة" حتى إذا أكل منها الإنسان فإنه "يحيى إلى الأبد" (التكوين ٣:٢٢)(٣).

هذه هي رؤية الكتاب المقدس لطبيعة النفس والغاية من وجودها وخلودها، أما من موقف القديس ألبرت من هذه القضية فيظهر في حديثه عن تعريف النفس وصلتها بالبدن، وأخيرًا خلود النفس.

أما عن تعريف القديس ألبرت للنفس:

فيقول في خلاصته اللاهوتية: «إذا كان الأمر هو تعريف النفس في حد ذاتها فإننا نعتقد أن أفلاطون كان على حق، أما إذا كان الأمر على العكس –وهو تعريفها باعتبارها صورة للبدن– فالحق يكون مع أرسطو»(٤).

=

ص٧٥.

(١) المرجع السابق، ص٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٨١.

(٣) كوستي بندلي، مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٤) ينظر: أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، =

فقد أخذ القديس ألبرت هذه الثنائية في تعريف النفس من الشيخ الرئيس ابن سينا؛ حيث كان ابن سينا يعتقد أن ثَمَّة وجهتَيْ نظرٍ بالنسبة للنفس، وكليهما ممكن.

فالنفس في حد ذاتها -أي: من حيث ماهيتُها- هي: جوهر روحاني بسيط غير منقسم، وبالتالي غير فانٍ، ومن هذه الزاوية يكون تعريف أفلاطون هو المناسب تمامًا، أما لو نظرنا إليها من خلال علاقتها بالبدن الذي تحركه فيمكننا القول إن أول وظائفها وأهمها هو أنها صورة البدن، ومن هذه الزاوية يكون أرسطو هو الذي على حق، وتكون النفس هي: صورة البدن الآلي ذي الحياة بالقوة(١).

ومن خلال ما سبق نجد مدى الاتفاق الذي يصل إلى درجة الاتفاق اللفظي بين القديس ألبرت الكبير وبين الشيخ الرئيس ابن سينا.

فالنفس إذن عند القديس ألبرت هي: صورة جوهرية، أو هي الفعل الأول للجسم(٢).

أما عن علاقة النفس بالبدن عند القديس ألبرت:

فنجده في حديثه عن علاقة النفس بالبدن مترددًا بين قولين: فتارة يقول إن اتصال النفس بالبدن كان مباشرًا، وتارة يقول بأنه كان بواسطة

=

ص١٦٦-١٦٧، د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٣٤٧.

(١) د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٣٤٧ بتصرف.

(٢) أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٦بتصرف، د. إبراهيم مدكور: معجم الفكر الإنساني: مرجع سابق، ص٦٦٦ بتصرف.

النور، وهو بذلك متأثرٌ بالنظرية الأوغسطينية، وهذا ما أكده أ. يوسف كرم حيث يقول: "أما عن اتصال النفس بالجسم فتارة يقول ألبرت إنه مباشر، وطورًا يتابع بعض الأوغسطينيين فيضع بينهما واسطةً هي النور، والنفس روحية ويدل على ذلك استقلالها بأفعالها العليا من تجريد، وحكم، واستقلال، وإرادة، وانعكاس على ذاتها؛ لذلك كانت مخلوقةً من الله"(١).

ويرى البعض أن القديس ألبرت كان متأثرًا في حديثه عن اتصال النفس بالبدن بابن رشد وابن سينا معًا باعتبار أن ما ذهب إليه يُعد حلاً وسطًا بين ابن رشد وابن سينا بمعنى أن القديس ألبرت قد حاول التوفيق بين ابن سينا وابن رشد؛ حيث ذهب إلى: أن النفس جوهر واحد وإن كانت ذات قوى عديدة، فهي مبدأ للحياة النباتية والحسية والعقلية على السواء. وهي متحدة بالجسم بواسطة قوتيها النباتية والحسية، وفي هذه الحالة فهي صورة للجسم، وتستمد منه صفة التفرد، أما من حيث مبدأ للحياة العقلية فهي مفارقة للجسم؛ لأنها لا تستطيع إدراك الكلي بصفاتها الشخصية(٢).

وبعدما تحدث القديس ألبرت عن تعريف النفس وصلتها بالبدن تحدث عن خلود النفس.

موقف القديس ألبرت الكبير من خلود النفس أو فنائها:

يتمسك القديس ألبرت الكبير بالكتاب المقدس الذي يصرح بخلود النفس كما أشرنا سلفًا؛ لذلك حاول التوفيق بين أرسطو وأفلاطون في النفس؛

(١) أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٦بتصرف، د. جمال عفيفي، مرجع سابق، ص١٤٤، د. محمد جلال شرف، مرجع سابق، ص٢٦٧.

(٢) د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٣٤٥ بتصرف.

حيث نجده قد اعتقد أن النفس عند أرسطو على قدر الجسم وتابعة له في مصيره، فهي إذن فانية، فاستعان بأفلاطون للتدليل على روحية النفس، ومن ثَم خلودها؛ لذلك يقول: "يجب القولُ بأننا حين نتحرى عن النفس ذاتها يتعين علينا اتباع أفلاطون، وحين ننظر إلى ما تمنح الجسم من حياة يتعين علينا اتباع أرسطو"(١).

وهذا ما دفع أتين جيلسون إلى القول بأن القديس ألبرت قد وجد ضالته في قضية النفس عند الشيخ الرئيس ابن سينا؛ حيث جاءت نظريته في النفس توفيقية بين أرسطو وأفلاطون؛ مما جعلها تتفق مع العقيدة المسيحية، إذ جمع بين القول بخلود النفس –وهي فكرة أفلاطونية– وبين القول بوحدة الكائن الإنساني –وهي فكرة أرسطية–؛ مما جعل لهذه النظرية أعظمَ الأثر على الفلسفة المسيحية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وخاصة في فكر القديس ألبرت الكبير(٢).

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول: إن النزعة التوفيقية ظهرت بشكل واضح عند القديس ألبرت خاصة في حديثه عن النفس الإنسانية، تلك النزعة التوفيقية بين أرسطو وأفلاطون من جهة، وبين ابن سينا وابن رشد من جهة أخرى، وبشكل عام بين الدين والفلسفة.

(١) ينظر: أ. يوسف كرم: الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص١٦٦–١٦٧، د. إبراهيم مدكور: معجم الفكر الإنساني: مرجع سابق، ص٦٦٦، د. علاء عبد المتعال، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٢) ينظر: د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص٣٤٦–٣٤٧.

الخاتمة

أولاً: النتائج:

من خلال العرض السابق لمحاور هذا البحث نستطيع أن نقف على عدة نتائج، منها:

١) أن الاتجاهات الفلسفية التي ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي تكاد ترجع إلى الموقف الذي اتخذته تلك المدارس والاتجاهات تجاه تلك الأفكار التي بدأت تغزو العالم الأوربي، وخاصة أفكار أرسطو وشراحه من المسلمين، وعلى وجه الخصوص: ابن سينا، وابن رشد.

٢) ضرب القديس ألبرت الكبير المثل لما ينبغي أن تكون عليه الأستاذية من حب وإخلاص ومن دفاع عن تلاميذه؛ فهذا الرجل الذي تجاوز الثمانين من عمره يسافر من كولونيا إلى باريس؛ ليدافع عن أفكار تلميذه القديس توما الأكويني حتى بعد وفاة توما، رغم أنه لا يوافقه في كثير من آرائه؛ حيث أدرجت أفكاره ضمن القضايا المحرمة من الكنيسة عام ١٢٧٧م.

٣) يعتبر القديس الكبير من أهم الشراح للفلسفة المشائية –الفلسفة اليونانية بثوبها العربي–، حيث استطاع الرجل شرح الفلسفة الأرسطالية دون التمسك بحرفية النص، فتميزت طريقة عرضه للنص الفلسفي عن غيره من الفلاسفة الشراح للتراث اليوناني من المسيحيين.

٤) جمع القديس ألبرت الكبيرفي مؤلفاته بين الفلسفة واللاهوت والعلم الطبيعي؛ نظرًا لسعة اطلاعه وخبرته.

٥) تأثر القديس ألبرت الكبير بابن سينا تأثرًا بالغًا، وليس أدلَّ على ذلك من اتباع ألبرت الكبير منهجَ ابنِ سينا في شروحه لأرسطو؛ حيث جاء منهجُه مخالفًا لمنهج ابن رشد كشارح لأرسطو، ومطابقًا لمنهج ابن سينا، كما تابعه في كثير من القضايا الفلسفية.

٦) إن الهدف الرئيس الذي حدده القديس ألبرت الكبير لنفسه هو إيصال الثروات التي جمعها من الفلاسفة اليونان والعرب واليهود إلى اللاتين، وخاصة في العلوم الطبيعية.

٧) لم يقم ألبرت الكبير ببناء فلسفي واضح، بل ذهبت آراؤه الجديدة في ثنايا شروحه وعروضه، فلم يكن ألبرت الكبير شاعرًا بأنه يقيم مذهبًا خاصًّا، إلا أنه استطاع أن يرتب الأفكار الأرسطوطالية ترتيبًا واضحًا، وأن يقيم شبهَ بناءٍ فلسفيٍّ واضح، فاستطاع أن يستأثر بكل فضل في إقامة هذا التيار الأرسطالي المسيحي.

٨) إن القديس توما مدين بفلسفته إلى أستاذه القديس ألبرت الكبير؛ حيث وضع بين يديه تراث اليونان مجردًا، فضلاً عن تراث اليونان بثوبه العربي والإسلامي.

٩) لا شك أن قضية التوفيق بين الدين والفلسفة كانت محورَ فلسفة العصور الوسطى، سواء أكانت إسلامية أم مسيحية أم يهودية؛ حيث شغلت هذه القضيةُ حيزًا كبيرًا من مؤلفات الفلاسفة المسلمين وأفكارهم، وعلى رأسهم الفارابي وابن سينا وابن رشد، والفلسفة اليهودية وخير من يمثلها موسى بن ميمون الذي أكد بدوره على العقل بوصفه رباطًا بيننا وبين الله، فمهمة الفلسفة شرح الحقائق الدينية والتدليل عليها، كل ذلك انعكس على الفلسفة المسيحية، حيث مثلت هذه القضيةُ جوهرَ الفلسفة المسيحية.

١٠)لقد ميز القديس ألبرت الكبير تمييزًا واضحًا بين الفلسفة واللاهوت، وذلك مرجعه لتأثره الكبير بفلسفة أرسطو، فصرح بأن الأمور اللاهوتية لا تتفق في مبادئها مع الأمور الفلسفية؛ فاللاهوت يقوم على الوحي دون العقل، وبالتالي فالفلسفة لا تستطيع أن تخوض في مسائلَ لاهوتيةٍ، ولكن نستطيع استخدام الفلسفة لفهم اللاهوت والتدليل عليه.

١١)إن النزعة التوفيقية عند ألبرت الكبير لم تقتصر على التوفيق بين الدين والفلسفة، بل امتدت إلى التوفيق بين الفلسفة الأوغسطينية والأرسطية من جانب، وبين الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية من جانب آخر.

١٢)إن مظاهر التوفيق عند القديس ألبرت الكبير تجلت في كثير من أفكاره؛ فقد حاول التوفيق بين الفلسفة الأوغسطينية والفلسفة الأورسطية، ويظهر ذلك جليًّا في حديثه عن أدلة وجود الله.

١٣)لقد تأثر القديس ألبرت الكبير بجميع الفلسفات السابقة عليه؛ حيث تأثر بالفلسفة اليونانية الأفلاطونية منها والأرسطية خاصة في حديثه عن أدلة وجود الله، وتأثر بالفلسفة اليهودية خاصة موسى بن ميمون في حديثه عن الخلق، بينما تأثر بالفلسفة الإسلامية وخاصة ابن سينا في حديثه عن النفس وغيرها من القضايا.

١٤)وأخيرًا نستطيع أن نقول: إن النزعة التوفيقية ظهرت بشكل واضح عند القديس ألبرت الكبير في كثير من القضايا الفلسفية، تلك النزعة التوفيقية بين الدين والفلسفة التي ظهرت في حديثه عن أدلة وجود الله وعن الصفات الإلهية، كما ظهرت في حديثه عن قضية قدم العالم وحدوثه، فضلاً عن حديثه عن النفس الإنسانية، كما ظهرت نزعة توفيقية أخرى –وهي محاولته التوفيق بين أرسطو وأفلاطون خاصة– في حديثه عن تعريف النفس الإنسانية.

ثانيًا: التوصيات:

١) أوصي الباحثين باستكمال المسير في فلسفة العصور الوسطى؛ لما تمثله من ثراث ضخم لم يُستخرَج من كنوزه إلا القليل منها حتى الآن.

٢) ضرورة الوقوف على قضايا التأثير والتأثر بين الفلسفة الإسلامية خاصة والفلسفة المسيحية والحديثة والمعاصرة؛ لبيان فضل السابق على

اللاحق، وبيان مدى أصالة الفلسفة الإسلامية وعبقريتها، ومدى تأثيرها على العقول الأوربية.

٣) توجيه الباحثين والباحثات في جامعة الأزهر الشريف خاصة إلى تناول موضوعات بحثية في فلسفة العصور الوسطى؛ لما أجده من قلة الكتابات حول هذا الجزء المهم من التراث الفلسفي.

المصادر والمراجع

(١) أرنست رينان: ابن رشد والرشدية، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية –القاهرة، ط: أولى ١٩٥٧م.

(٢) أفلاطون محاورة القوانين، ترجمة د: تيلور ونقلها إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١٩٧٠م.

(٣) أ.م جواشون: فلسفة ابن سينا وأثرها في أوربة خلال القرون الوسطى. نقله إلى العربية: أ. رمضان لا وند، دار العلم للملايين، ط: العاشرة، سنة ١٩٥٠م.

(٤) القديس أوغسطين: الاعترافات ترجمة: القمص قزمان البرموسي: مراجعة: حنا فام المحامي، ط: أولى، ١٩٠٣م.

(٥) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، راجع: د. أحمد أمين، مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط: ثانية، القاهرة ١٩٦٨م.

(٦) تراثني وماركوس: مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ترجمة: د. ماهر عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، ط ١٩٩٧م.

(٧) د. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر، ط: ثانية، ١٩٥٨م.

(٨) القديس توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، ترجمه من اللاتينية إلى العربية: بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ط: أولى، سنة ١٨٨٩م.

(٩) الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، سنة ١٩٨٣م.

(١٠)د. جمال عفيفي: أضواء على الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مطبعة الرشوان، ط: ثالثة ٢٠٠٩م.

(١١)جونو، برجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، ترجمة: د. علي زيعور، ود. علي مقلد، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ١٩٩٣م.

(١٢)د. حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار التنوير للطباعة والنشر، ط ١٩٨١م.

(١٣)د. حسين سعيد علي: الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك، ط: أولى، سنة ١٩٧٢م.

(١٤)ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، دار المعارف، ط: ثالثة، القاهرة ١٩٦٩م.

(١٥)روني إيلي الفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج ١، قدم له الرئيس شارل حلو، مراجعة د. جورج نخل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: أولى، سنة ١٩٩٢م.

(١٦)د. زكي نجيب محمود، الناشر: دار النهضة العربية –القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر –القاهرة، ط: أولى ١٩٦٤م.

(١٧)د. زينب الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع –القاهرة، ط ١٩٨٣م.

(١٨)د. زينب محمود الخضيري: ابن سينا وتلاميذه اللاتين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: أولى، ١٩٨٦م.

(١٩)عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم –بيروت –لبنان. ط: الثالثة ١٩٧٩م.

(٢٠)عبده الحلو: الوافي في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، ط: أولى، سنة ١٩٩١م.

(٢١)ود. علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوربا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط: أولى، سنة ٢٠٠٤م.
(٢٢)د.غادة الغنيمي، العقائد الإيمانية ومصادرها عند القديس توما الأكويني ومدى تأثره بالفكر الإسلامي الكلامي والفلسفي، إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، ط: أولى، ٢٠٢٥م.
(٢٣)كوستي بندلي، مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى العقيدة المسيحية منشورات النور، ط: أولى، ١٩٨٢م.
(٢٤)مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الفكر الإنساني، تصدير: إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٤م.
(٢٥)مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، وجلال العشري، وعبد الرشيد الصادق، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
(٢٦)د. محمد جلال شرف: مذاكرات في الفلسفة المسيحية، ومشكلة التوفيق بين العقل والنقل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: أولى، ١٩٤٩م.
(٢٧)د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصور الوسطى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط: ثانية، ١٩٨٨م.
(٢٨)مراد وهبة، منى أبو سنة: ابن رشد والتنوير، تقديم: بطرس غالي، دار الثقافة الجديدة، ط أولى، ١٩٩٧م.
(٢٩)د. ميلاد زكي غالي: دراسات في الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى –الفلسفة المسيحية، من دون طبعة ولا تاريخ.
(٣٠)د. نادية عبد الغني البرماوي: الله في فلسفة القديس ألبرت الكبير، مجلة وادي النيل للدارسات والبحوث، عدد ٩، ط٢٠١٦ م.

(٣١)هنري توماس: أعلام الفلاسفة وكيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم: د. زكي نجيب محمود، الناشر: دار النهضة العربية – القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر –القاهرة، ط: أولى ١٩٦٤م.

(٣٢)هنري توماس، دانالي توماس: المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة: عثمان نويه، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١٩٧٠م.

(٣٣)أ. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم – بيروت –لبنان، طبعة ١٩٧٩م.

المراجع والمصادر الأجنبية ومواقع النت.

(1) Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the middle ages first. Published, London, 1955.
(2) Etienne Gilson: The Philosophy of St. Thomas Aquinas, Dorset press, New York, U.S.A.Fredrick Copleston: A history of philosophy Vol 3 , Search press limited , first published , London,1976..
(3) James A. Weisheipl: Albertus Magnus and the sciences commemorative essays, printed by the hunter rose, co. 1td, Toronto, Canada, 1980
(4) Encyclopedia Britannica, Britannica.com.
(5) https://plato.stanford.edu/entries/guillaume-auvergne.
(6) Stanford encyclopedia of philosophy.
(7) https://plato.stanford.edu/entries/pseudo-dionysius.
(8) https://plato.stanford.edu.
(9) https://www.op.org.

almasadir w almurajie

(1) 'arnist rinan: abn rushd walrushdiatu, naqalah 'iilaa alearabiati: eadil zieitar, dar 'iihya' alkutub alearabiat -alqahirati, ta: 'uwlaa 1957m.
(2) 'aflatun muhawarat alqawanini, tarjamat du: tilur wanaqliha 'iilaa alearabiat muhamad hasan zaza, matabie alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahirati, ta1970m.
(3) -'a.m jawashuna: falsafat abn sina wa'atharuha fi 'uwrbat khilal alqurun alwustaa. naqalah 'ilaa alearabiati: 'a. ramadan la wanadi, dar aleilm lilmalayini, ta: aleashirati, sanat 1950ma.
(4) alqidiys 'uwghastin: alaietirafat tarjamatu: alqims qizman albirmusi: murajaeat hanaa fam almuhami, ta: 'uwlaa, 1903m.
(5) barat rand rusulu: tarikh alfalsafat algharbiati, tarjamata: du. zaki najib mahmud, rajie: du. 'ahmad 'amin, matbaeatun: lajnat altaalif waltarjamat walnashri, ta: thaniat, alqahirat 1968m.
(6) trathni wamarkus: maqalat fi falsafat aleusur alwustaa, tarjamatu: da. mahir eabd alqadir, dar almaerifat aljameiati, t 1997m.
(7) du. twfiq altawil: qisat alnizae bayn aldiyn walfalsafati, maktabat masr, ta: thaniatan, 1958m.
(8) alqidiys tuma al'akwini: alkhulasat allaahutiatu, tarjamuh min allaatiniat 'iilaa alearabiat: bulis eawadi, almatbaeat al'adabiati, bayrut, ta: 'uwlaa, sanat 1889m.
(9)
(10) da. jamal eafifi: 'adwa' ealaa alfalsafat al'uwrubiyat fi aleasr alwasiti, matbaeat alrashwani, ta: thalithat 2009m.
(11) junu, barjuan: tarikh alfalsafat waleilm fi 'uwrbaa alwasitati, tarjamatu: da. eali zayeur, wada. eali

muqlid, muasasat eizi aldiyn liltibaeat walnashri, t 1993m.
(12) da. hasan hanafay: namadhij min alfalsafat almasihiat fi aleasr alwasiti, dar altanwir liltibaeat walnashri, t 1981m.
(13) da. husayn saeid ealay: almawsueat althaqafiatu, muasasat franklin liltibaeat walnashri, alqahirat - niuyurk, ta: 'uwlaa, sanat 1972m.
(14) abn rushd: fasl almaqal fima bayn alhikmat walsharieat min alaitisali, dirasat watahqiqu: du. muhamad eimarat, dar almaearifi, tu: thalithat, alqahirat 1969m.
(15) runi 'iili alfa: mawsueat 'aelam alfalsafat alearab wal'ajanibu, j 1, qadam lah alrayiys sharl hulu, murajaeat da. jurj nakhla, dar alkutub aleilmiat bayrut lubnan, ta: 'uwlaa, sanat 1992m.
(16) d. zaki najib mahmud, alnaashir: dar alnahdat alearabiat -alqahirati, muasasat franklin liltibaeat walnashr -alqahirati, ta: 'uwlaa 1964m.
(17) du. zaynab alkhudari: 'athar abn rushd fi falsafat aleusur alwustaa, dar althaqafat lilnashr waltawzie - alqahirati, t 1983m.
(18) da. zaynab mahmud alkhudari: abn sina watalamidhuh allaatinu, alnaashir: maktabat alkhanji, alqahirati, ta: 'uwlaa, 1986m.
(19) eabd alrahman badway: falsafat aleusur alwustaa, wikalat almatbueat -alkuayti, dar alqalam -bayrut - lubnan. ta: althaalithat 1979m.
(20) eabduh alhulu: alwafi fi tarikh alfalsafat alearabiati, dar alfikr allubnani, ta: 'uwlaa, sanat 1991m.
(21) wda. eala' eabd almutaeal: falsafat aleusur alwustaa fi 'uwrba, dar alwafa' lidunya altibaeat walnashra, al'iiskandiriata, ta: 'uwlaa, sanat 2004m.
(22) da/ghadat alghnimi, aleaqayid al'iimaniat wamasadiruha eind alqidiys tuma al'akwaynii

wamadaa ta'athurih bialfikr al'iislamii alkalamii walfalsafi, 'iisdarat majamae albuhuth al'iislamiati, ta: 'uwlaa, 2025m.

(23) kusti bandili, majmueat min almualifina: madkhal 'iilaa aleaqidat almasihiat manshurat alnuwr, ta: 'uwlaa, 1982m.

(24) majmueat min almualifina: muejam 'aelam alfikr al'iinsanii, tasdir 'iibrahim madkur, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, t 1984m.

(25) majmueat min almualifina: almawsueat alfalsafiat almukhtasarati, tarjamatu: fuad kaml, wajalal aleishri, waeabd alrashid alsaadiq, murajaeatu: zaki najib mahmud, dar alqalami, bayrut, bidun tabeat wala tarikhi.

(26) dd. muhamad jalal sharaf: mudhakarat fi alfalsafat almasihiati, wamushkilat altawfiq bayn aleaql walnaqla, dar almaerifat aljamieiati, al'iiskandariati, ta: 'uwlaa, 1949m.

(27) dd. muhamad yusif musaa: bayn aldiyn walfalsafat fi ray abn rushd wafalasifat aleusur alwustaa, aleasr alhadith lilnashr waltawzie, bayrut -lubnan, ta: thaniat, 1988m.

(28) murad wahibat, munaa 'abu sanat: aibn rushd waltanwir, taqdimu: butrus ghali, dar althaqafat aljadidati, t 'uwlaa, 1997m.

(29) dd. milad dhaki ghali: dirasat fi alfalsafat al'uwrubiyat fi aleusur alwustaa -alfalsafat almasihiati, min dun tabeat wala tarikhi.

(30) d. nadiat eabd alghani albarmawi: allah fi falsafat alqidiys 'albirt alkabira, majalat wadi alniyl lildaarisat walbuhuthi, eadad 9, ta2016 ma.

(31) hinri twmas: 'aelam alfalasifat wakayf nafhamuhuma, tarjamata: mitri 'amin, murajaeat wataqdimi: du. zaki najib mahmud, alnaashir: dar

alnahdat alearabiat -alqahirati, muasasat franklin liltibaeat walnashr -alqahirat, ta: 'uwlaa 1964m.
(32) hanri tumas, danali tumas: almufakirun min suqrat 'iilaa sartar, tarjamat euthman nuyhi, maktabat alanjlu almisriatu, t 1970m.
(33) du. yusif karma: tarikh alfalsafat al'uwrubiyat fi aleasr alwasit, dar alqalam -bayrut -lubnan, tabeatan 1979m.

almarajie walmasadir al'ajnabiat wamawaqie alniti

(1) Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the middle ages first. Published, London, 1955.
(2) Etienne Gilson: The Philosophy of St. Thomas Aquinas, Dorset press, New York, U.S.A.
(3) Fredrick Copleston: A history of philosophy Vol 3 , Search press limited , first published , London,1976..
(4) James A. Weisheipl: Albertus Magnus and the sciences commemorative essays, printed by the hunter rose, co. 1td, Toronto, Canada, 1980
(5) Encyclopedia Britannica, Britannica.com.
(6) https://plato.stanford.edu/entries/guillaume-auvergne.
(7) Stanford encyclopedia of philosophy
(8) https://plato.stanford.edu/entries/pseudo-dionysius.
(9) https://plato.stanford.edu.- https://www.op.org.

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥
٢	التمهيد: الاتجاهات الفلسفية في القرن الثالث عشر الميلادي.	٩
٣	المبحث الأول: التعريف بالقديس "ألبرت الكبير" ومنهجه الفلسفي.	١٥
٤	أولاً: التعريف بالقديس "ألبرت الكبير". (حياته – مؤلفاته–أساتذته – وتلاميذه).	١٦
٥	ثانيًا: منهجه الفلسفي.	٢٥
٦	المبحث الثاني: فلسفة التوفيق عند القديس "ألبرت الكبير".	٢٩
٧	أولاً: التوفيق بين الدين والفلسفة.	٣٠
٨	ثانيًا: التوفيق بين أرسطو وأفلاطون.	٤٠
٩	المبحث الثالث: مظاهر التوفيق بين الدين والفلسفة عند القديس ألبرت.	٤٢
١٠	أولاً: قضية الألوهية عند القديس ألبرت الكبير.	٤٣
١١	ثانيًا: قضية قدم العالم وحدوثه عند القديس ألبرت.	٥٤
١٢	ثالثًا: موقف القديس ألبرت من قضية النفس وخلودها.	٥٨
١٣	الخاتمة.	٦٣
١٤	المصادر والمراجع.	٦٧
١٥	فهرس الموضوعات.	٧٦